تبيان المعاني لتصاريف مادة "ثقل" في القرآن الكريم

د. عبدالرحمن بن ناصر اليوسف
قسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تبيان المعاني لتصاريف مادة "ثقل" في القرآن الكريم

د. عبدالرحمن بن ناصر اليوسف
قسم القرآن وعلومه – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث:

عند إمعان النظر في المفردة القرآنية الواحدة، ودورانها في الكتاب العزيز، نقف على معانٍ متعددةٍ، تبعاً لتنوع سياقاتها، ومواطن ورودها، وهذا ما تقدمه لنا كتب الوجوه والنظائر، من خلال جمع الألفاظ القرآنية، وبيان وجوه معناها، وعرض مواضعها، ولم تخل كتب التفاسير من التطرق لتوجيه تلك الألفاظ، وسرد ما فيها من أقوال.

ومما استوقفني للنظر في معناه، وجمع منابعه، تصاريف مادة (ثقل)، حيث وردت في ثمان وعشرين موضعاً من كتاب الله الكريم، وهذه المادة الفخمة، يتفرع عنها جمل من المباني، وشواهد من الآيات، ينضوي تحت ظلالها تفسيرات متسعة، ومعانٍ جمة، في بطون كتب التفسير، ومدونات المعاني والغريب، وتقييدات أصحاب الوجوه والنظائر، إلا أنه خلا تتبعهم لموارد هذه اللفظة من الرصد الدقيق، والتمحيص لتأويلاتها – من غير إغضاءٍ لجهدهم، وغزارةِ علمهم، وفضل سبقهم، رحم الله الجميع، وأحسن لهم الجزاء –، وقد تمت دراسة تصريفات مادة (ثقل)، مستعرضاً فيها معاني الألفاظ، وتأويلات أهل التفسير، مردفاً ذلك بالأظهر من عيون تلك الأقاويل، ومدى مواءمتها لسياق التنزيل.

المقدمة:

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، كتب الفوز والفلاح لمن: ﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾، والخيبة والخسار لمن: ﴿خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

أحمده تعالى على جزيل نعمائه، وكريم هباته، وعميم نواله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الثقلين من إنسه وجانه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن والاه،ومن سار على نهجه واهتدى بهداه.

أما بعد:

فإن الكلمات في الحقل القرآني، دقيقة السبك، محكمة السرد، موجزة اللفظ، وافية المعنى، لها أبعاد ودلالات، وأسرار وغايات، قد بلغت المنتهى في الفصاحة والإتقان، والفيوض والبركات.

وعند إمعان النظر في المفردة القرآنية الواحدة، ودورانها في الكتاب العزيز، نقف على معانٍ متعددةٍ، تبعاً لتنوع سياقاتها، ومواطن ورودها، وهذا ما تقدمه لنا كتب الوجوه والنظائر، من خلال جمع الألفاظ القرآنية، وبيان وجوه معناها، وعرض مواضعها، ولم تخل كتب التفاسير من التطرق لتوجيه تلك الألفاظ، وسرد ما فيها من أقوال.

ومما استوقفني للنظر في معناه، وجمع منابعه، تصاريف مادة (ثقل)، حيث وردت في ثمان وعشرين موضعاً من كتاب الله الكريم، وهذه المادة الفخمة، يتفرع عنها جمل من المباني، وشواهد من الآيات، ينضوي تحت ظلالها تفسيرات متسعة، ومعانٍ جمة، في بطون كتب التفسير، ومدونات المعاني والغريب، وتقييدات أصحاب الوجوه والنظائر، إلا أنه خلا تتبعهم لموارد هذه اللفظة من الرصد الدقيق، والتمحيص لتأويلاتها – من غير إغضاءٍ لجهدهم، وغُزْرِ علمهم، وفضل سبقهم، رحم الله الجميع، وأحسن لهم الجزاء –.

لذا عقدت العزم، وتوجهت الهمة، لاستقصاء مواطن ورودها المتشعبة، في سياقاتها المختلفة؛ بغية الكشف عن دلالة تراكيبها، واستخراج دقائق فوارقها، وجلاء حقيقة معانيها بالتحقيق والتحرير، مشاركة في إتمام الفائدة، والعود بعائدةٍ زائدةٍ.

وقد انتظم عقد البحث، ونمط تقسيمه على النحو الآتي:

أولاً: المقدمة، وتشتمل على أهمية الدراسة.

ثانياً: مفهوم لفظ: (ثقل).

ثالثاً: دراسة الآيات التي ورد فيها تصريف (الثقل) في ثمانٍ وعشرين موضعاً، وذلك وفق ترتيب السور القرآنية.

رابعاً: الخاتمة.

خامساً: ثبت المصادر والمراجع.

* * *

الثِّقَلُ لغةً: نقيضُ الخِفَّةِ، وهو مصدر الثقيل، تقول: ثَقُلَ الشيءُ ثِقَلاً وثَقالةً فهو ثَقيلٌ، والجمع: ثِقال[1].

و(الثاء، والقاف، واللام) أصل واحد يتفرع منه كلمات متقاربة[2]، مثل: (ثقيل، مثقال، أثقال، ثقال، ثقلان).

وأصل الثِّقل: أن العرب تقول لكل شيءٍ نفيسٍ مصونٍ: ثَقَل، وأصله في بيض النعام المصون، ووجه تسميته بذلك؛ لأن آخذه يفرح به لكونه قوتاً[3].

ويقال للمرء إذا اشتد مرضه: ثَقُلَ ثِقَلاً[4].

وكل ما يترجح على ما يوزن به أو يُقدَّر به يقال: هو ثقيلٌ.

وأصل الثقل في:

١ – الأجسام.

٢ – ويستعمل في المعاني، نحو: أثقله الغُرم، والوِزر[5].

والثقيل في الإنسان يستعمل:

١ – تارةً في الذم، وهو الغالب المتعارف عليه، مثل قولهم: (ثقيل الظِّل).

٢ – وتارة في المدح، بدلالة القرينة، فيقال لمن فيه وقارٌ: (ثقيل)[6].

قال زهير بن أبي سُلمى (ت: ٣ ق هـ):

تَزيدُ الأرْضُ إمّا مُتَّ خِفّاً ... وتَحْيا إنْ حَيِيتَ بها ثقيلا

نَزَلْتَ بمُسْتَقَرِّ العُرْضِ مِنْها ... وتَمْنَعُ جانِبَيْها أنْ تَميلا[7]

والثقيل من الكلمات: ما كثرت مدلولاته ولوازمه، كالفعل، فإن مدلولاته: الحدث والزمان، ولوازمه: الفاعل، والمفعول، والتصرف، وغير ذلك[8].

---

(١) انظر: جمهرة اللغة ١/٤٣٠ (ثقل)، والصحاح ٢/١٢٣٧ (ثقل)، والمحكم ٦/٣٥٣ (ثقل).

(٢) انظر: مقاييس اللغة ١/٣٨٢ (ثقل).

(٣) انظر: الألفاظ ص ٢٧٢، وتهذيب اللغة ٩/٧٨ (ثقل)، وأساس البلاغة ١/١١١ (ثقل)، والنهاية ١/٢١٦ (ثقل).

(٤) انظر: الألفاظ ص ٨٢، والمحكم ٦/٣٥٥ (ثقل)، وغراس الأساس ص ٤٧ (ثقل).

(٥) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٧، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٣، وبصائر ذوي التمييز ٢/٣٣٤.

(٦) انظر: المصادر السابقة، والكليات ص ٣٢٤.

(٧) ديوان زهير بن أبي سُلمى ص ٤٧، وانظر القصة في: أمالي المرتضى ١/٦٦.

(٨) انظر: الكليات ص ٣٢٤.

والثقيل والخفيف يستعملان على وجهين:

الوجه الأول: على سبيل المضايقة، وذلك بالنظر إلى غيره، فيقال: هذا ثقيل بالنسبة لما هو أقل منه، وخفيف بالنسبة لما هو أكثر منه.

الوجه الثاني: باعتبار حالته وطبيعته:

١ – فإن كان ميَّالاً إلى الهبوط والنزول إلى أسفل: كالحجر والمدر، فثقيل.

٢ – وما كان ميَّالاً إلى الصعود: كالنار، والدخان، فخفيف[1].

إذن مما تقدم من موارد استعمال لفظة: **(الثقل)**، وتقليبات وجوهه، يتبين أن نواة الدلالة اللغوية لهذه الكلمة تدل على خلاف الخفة، كما هو بيِّن.

* * *

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٤٧، وعمدة الحفاظ ٣٢٣/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٥/١.

دراسة الآيات الكريمات:

تصرف من مادة: (ثقل) ألفاظ متنوعة، في مواضع متعددة من كتاب الله الكريم، حيث بلغت أربعة عشر تصريفاً، جاءت موزعة في ثمانٍ وعشرين آية.

وفيما يأتي بيان معانيها، وتجلية وجوهها، وسياق مواضعها من سورها، وفق ترتيب المصحف الشريف.

فأقول مستعيناً بالله، مستوهباً توفيقه:

الموضع الأول:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠][1].

ورد لفظ ﴿مِثْقَالَ﴾ ثمان مرات في كتاب الله ﷻ. وآية سورة النساء أعلاه أول مواطن الورود.

---

(١) هذه الآية من ضمن خمس آيات من سورة النساء، قال عنها ابن مسعود ﷺ: "لهنَّ أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً..." أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن ١/١٥٥، والطبري في جامع البيان ٧/٦٦٠.

وفي رواية: إن في النساء خمس آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها، ولقد علمت أن العلماء إذا مروا بها يعرفونها – ثم ذكر منها هذه الآية –. أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ٢/٨٨، رقم: (٥٤٠)، وسعيد بن منصور في سننه ٤/٢٩٧، رقم: (١٢٩٧، رقم: (٦٥٩)، وابن المنذر في تفسير القرآن ٢/٧٠٩، رقم: (١٧٧٦)، والطبراني في المعجم الكبير ٩/٢٢٠، رقم: (٩٠٦٩)، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة النساء، ٢/٣٣٤، رقم: (٣١٤٩)، والبيهقي في شعب الإيمان ٥/٣٦١، رقم: (٢٢٣). وانظر: تعليق محقق سنن سعيد بن منصور على هذا الأثر ١/٢٩٧، وقد ورد في سياق سبب نزول هذه الآية: ما أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٤/١٢٥٢، رقم: (٦٣٦)، والطبري في جامع البيان ٧/٣٦، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٣/٩٥٥، رقم: (٥٣٣٨)، والطبراني كما في مجمع الزوائد ٧/٦٤، كلهم من طرقٍ عن فُضيل بن مرزوق، عن عطية العَوْفي، عن عبدالله بن عمر، قال: نزلت هذه الآية في الأعراب: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. قال: فقال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠]. وإذا قال الله لشيءٍ: عظيم. فهو عظيم وإسناده ضعيف، فيه عطية بن سعد بن جُنَادة العَوْفي، صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً، مات سنة ١١١هـ.

انظر: تقريب التهذيب ص ٦٨٠.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٦٤: "رواه الطبراني، وفيه عطية، وهو ضعيف". وانظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ١/٣٨٩.

و﴿مِثْقَالَ﴾: على وزن: (مِفْعَال)، من الثقل[1]، يقال: هذا على مثقال هذا، أي: وزن هذا[2].

ومثاقيل: جمع (مثقال)، ومثقال الشيء: ميزانه من مثله[3].

وقد أطبقت كلمة المفسرين[4]، وأرباب المعاني[5]، على أن معنى: ﴿مِثْقَالَ﴾ هنا: المقدار والوزن، ويظهر بجلاءٍ ارتباط هذا التأويل بالمعنى اللغوي.

عن السدي (ت: ١٢٨هـ) في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، قال: =وزن ذرةٍ+[6].

وقال أبو عبيدة (ت: ٢١٠هـ): "﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: زِنَةَ ذرةٍ"[7].

وقال الطبري (ت:٣١٠هـ): "﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يعني: ميزان ذرةٍ، أي: ما يزنها ويكون على قدر ثقلها في الوزن"[8].

وقال الواحدي (ت:٤٦٨هـ): "﴿مِثْقَالَ﴾: مقدار"[9].

وفي هذه الآية الكريمة بيَّن الخلاق العليم، كمال حكمه، وتمام عدله، ونفي الظلم عن نفسه، فهو سبحانه حكم عدل، تقدَّس أن يظلم أحداً من العبيد، أو يبخس أحداً شيئاً ولو وزن ذرةٍ[10]، مهما تضاءلت وتصاغرت فلا ينقص الحسنات ولا يزيد في السيئات،

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/٥٢، والمحرر الوجيز ٢/٥٣.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٢٧، ومعاني القرآن للنحاس ٢/٨٧، وتفسير القرآن العزيز ١/٣٧٣.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٩/٨٠ (ثقل)، والصحاح ٢/١٢٣٩ (ثقل).

(٤) انظر: تفسير مقاتل ١/٢٣٠، وجامع البيان ٧/٢٩، وتفسير السمرقندي ١/٣٥٥، والوجيز ١/٢٦٥، وتفسير القرآن العزيز ١/٣٧٣، ومعالم التنزيل ٢/٢١٤، وزاد المسير ٢/١٢٥، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ١/١٨٠، والبحر المحيط ٣/٢٦١، والدر المصون ٣/٦٨١، وروح المعاني ٥/٣١، والتحرير والتنوير ٥/٥٥.

(٥) انظر: مجاز القرآن ١/١٢٧، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٢٧، ومعاني القرآن للزجاج ١/٥٢، ونزهة القلوب ص ٤٠، ومعاني القرآن للنحاس ٢/٨٧، وغرائب التفسير ١/٢٩٦، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، ووجوه القرآن ص ٨٩، وتذكرة الأريب ص ١١٧، ونفس الصباح ١/٢٧٣، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٧، والترجمان ص ٩٥، وتحفة الأريب ص ٨٢، وبهجة الأريب ص ٦٥، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٥، والتبيان لابن الهائم ص ١٦٧.

(٦) أخرجه ابن المنذر في تفسير القرآن ٢/٧١٠، رقم: (١٧٧٨).

(٧) مجاز القرآن ١/١٢٧، وأخرجه عنه ابن المنذر في تفسير القرآن ٢/٧١١، رقم: (١٧٧٩).

(٨) جامع البيان ٧/٢٩.

(٩) الوجيز ١/٢٦٥.

(١٠) في المراد بـ (الذرَّة) أقوال:

القول الأول: النملة، روي عن ابن مسعود ﷺ أنه قرأ: (إن الله لا يظلم مثقال نملةٍ)، أخرجه ابن أبي داود في المصاحف ١/٢٩٤، رقم: (١٦٤)، وانظر: مختصر في شواذ القرآن ص ٣٣، والكشف والبيان ٣/٣٨، وشواذ القراءات ص ١٣٥، وهذه القراءة الشاذة يراد منها: التفسير والبيان. انظر: القراءات الشاذة ص ٣٧٨.

القول الثاني: أصغر النمل، قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ١٢٧، وابن فارس في مقاييس اللغة ٢/٣٤٣ (ذر)، وانظر: الهداية ٦/١٣٢٩.

=

وإن كان زِنَة الذرَّة حسنة، فالكريم سبحانه يضاعفها، ويهب من واسع جوده، وكريم عطائه، أجراً كبيراً، وفضلاً جليلاً، لا يقدر قدره إلا هو جلَّ في علاه.

وفي حديث الشفاعة الطويل، وفيه: **(فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرةٍ من إيمانٍ فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا)**.

قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾(١).

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: "يؤتى بالعبد والأمة يوم القيامة، فينادي منادٍ على رؤوس الأولين والآخرين: هذا فلان ابن فلان، من كان له حقٌّ فليأت إلى حقه. فتفرحُ المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أخيها أو زوجها، ثم قرأ: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[المؤمنون: ١٠١]، فيغفر الله من حقِّه ما يشاء، ولا يغفِرُ من حُقوقِ الناس شيئاً، فينصب للناس فينادى: هذا فلان ابن فلان، من كان له حق فليأت إلى حقه. فيقول: ربّ فنيت الدنيا، من أين أوتيهم حقوقهم؟ قال: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طَلِبَتِه، فإن كان ولياً لله، ففضل له مثقالُ ذرَّةٍ، ضاعفها الله له حتى يدخل الجنة، ثم قرأ علينا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ قال: ادخل

= **القول الثالث:** رأس نملةٍ حمراء، أخرجه الطبراني في جامع البيان ٧/ ٢٩، عن عكرمة، عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، وانظر: الكشف والبيان ٣/ ٣٠٨، وبه قال الكلبي. انظر: تفسير السمرقندي ١/ ٣٥٥، وابن زيد، انظر: البسيط ١/ ٢٥١.

القول الرابع: الخردلة. انظر: الكشف والبيان ٣/ ٣٠٨، وزاد المسير ٢/ ١٢٥.

القول الخامس: ذرَّة يسيرة من التراب، رواه يزيد بن الأصم، عن ابن عباسٍ – رضي الله عنهما – انظر: الكشف والبيان ٢/ ٣٨.

القول السادس: الواحدة من الهباء الظاهر في ضوء الشمس، إذا طلعت من كوَّة. انظر: الكشف والبيان ٣/ ٣٠٨، والكشاف ٢/ ٧٨.

وهذه المعاني المتقدمة لـ (الذرَّة)، مما تعارفه الناس، وتصوروه في أذهانهم، والمقصود: ضرب المثل بأدق الأشياء وأصغرها، وأقلها وأحقرها، وأنه تعالى لا يظلم قليلاً ولا كثيراً، ولا يخاف أحدٌ ظلماً ولا هضماً، فهو سبحانه منزَّه عن الظلم، ووضع الأمور في غير موضعها.

يقول الطوفي: "﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾: عام مطرد، ومفهوم الموافقة دلَّ على نفي الظلم في أكبر من ذلك" الإشارات الإلهية ٢/ ٢٦، وانظر: تفسير آيات أشكلت ٢/ ٥٢٢.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، ٦/ ٢٧٦، رقم: (٧٠٠١)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١/ ١٦٧، رقم: (١٨٣)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

الجنة، وإن كان عبداً شقياً قال الملَكُ: رب فنيت حسناته، وبقي طالبون كثير؟ فيقول: خُذُوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صُكُّوا له صكًّا إلى النار"[1].

الموضع الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: ٨].

وردت مفردة ﴿ثَقُلَتْ﴾ أربع مراتٍ في كتاب الله تعالى، والآية المصدرة أعلاه أول مواطنها.

و﴿ثَقُلَتْ﴾ على وزن (فعُل)، من الثِّقل، نقيض الخفة.

كما أن الأداء الصوتي لكلمة ﴿ثَقُلَتْ﴾ لا يخلو من صفة القوة والشدة[2].

=فمجيء الفعل على (فَعُل) جعله ذا قيمة تفخيمية عالية، تمثلت في صائت (الضم)، وصامت (القاف) المستعلي المفخم+[3].

ولم يختلف أهل التفسير[4]، وكتّاب الوجوه والنظائر[5]، وأرباب المعاني[6]، أن ﴿ثَقُلَتْ﴾ في هذا الموضع بمعنى: رجحت، وكثرت، وعلى هذا جرت عباراتهم، وتواردت أقوالهم:

فعن ابن عباس (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما – قال: "يحاسب الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدةٍ دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار، ثم قرأ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ الآيتين. ثم قال: إن الميزان يخف بمثقال حبةٍ ويرجَحُ، ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف، فوقفوا على الصراط"[7].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٣/٧، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩٥٤/٣، رقم: (٥٣٣٥)، وانظر: تصحيح الدكتور حكمت بشير لإسناد رواية ابن أبي حاتم في التفسير الصحيح ٥٣/٢.

(٢) انظر: الرعاية ص ١٧١، ١٨٨، والموضح في التجويد ص ١٠١، ١١٧، والتمهيد ص ١١١، ١٣٨، ١٤٠.

(٣) الصيغ الفعلية ١٢٤/١.

(٤) انظر: جامع البيان ٦٩/١٠، وتفسير السمرقندي ٥٣١/١، والهداية ٢٢٨٤/٤، والكشاف ٤٢٥/٢، ومدارك التنزيل ٤٥/٢، ولباب التأويل ١٨٣/٢، وفتح القدير ١٩١/٢، والفتوحات الإلهية ٩/٢، وتيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٧، والعذب النمير ١٠٠٧/٣.

(٥) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٦) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، وعمدة الحفاظ ٣٢٦/١، وبصائر ذوي التمييز ٣٣٥/٢.

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٣/٦ لابن أبي حاتم، ولم أقف عليه في المطبوع من تفسيره.

وقال مجاهد (ت: ١٠٤هـ): "﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: من كثرت حسناته"[١].

وقال السعدي (ت: ١٣٧٦هـ): "﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: بأن رجحت كفةُ حسناته على سيئاته، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: أي: الناجون من المكروه، المدركون للمحبوب، الذين حصل لهم الربح العظيم، والسعادة الدائمة"[٢].

والحاصل: أن الله تبارك وتعالى، يضع الميزان يوم المعاد، لوزن أعمال العباد[٣]؛ فمن رجحت وكثرت مقادير أعماله، كان من أهل الفلاح، ودخول الجنان، "وحُقَّ لميزانٍ توضع فيه الحسنات أن يثقل، وحُقَّ لميزانٍ توضع فيه السيئات أن يخف. والحق إنما كان ثقيلاً في الميزان يوم القيامة؛ لأنه ثقيل على النفوس في دار الدنيا، والباطل إنما كان خفيفاً في الميزان يوم القيامة؛ لخفته على النفوس في دار الدنيا"[٤].

اللهم ثقِّل موازيننا، وأعظم أجورنا، وارفع درجاتنا، وتجاوز عن تقصيرنا، واجعلنا من الفائزين المقربين.

الموضع الثالث:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الأعراف: ٥٧].

ورد لفظ ﴿ثِقَالًا﴾ مرتين في التنزيل العزيز، والمصدَّر من الآية أول مواطنها.

---

(١) انظر: الهداية ٤/ ٢٨٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٠٧.

(٣) مذهب جماهير أهل العلم أن هذا الميزان حقيقي، توضع فيه أعمال العباد، فمن رجحت حسناته صار إلى الجنة، ومن كثرت سيئاته على حسناته صار إلى النار – والعياذ بالله –.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال: والله لا أتكلم اليوم، فصلى، أو قرأ، أو سبح، أو كبر، أو حمد، أو هلَّل، فهو على نيته، ٦/ ٢٤٥٩، رقم: (٦٣٠٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، ٤/ ٢٠٧٢، رقم: (٢٦٩٤).

وقد اختلف أهل العلم في هذا الموزون: أهو الأعمال؟ أو صحائف الأعمال؟ وهل هو ميزان واحد، أو متعدد؟ وللتوسع في أقوالهم وأدلتهم، ينظر: جامع البيان ١٠/ ٦٩، والجامع لأحكام القرآن، ٩/ ١٥٨، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤/ ٣٠٢، وتفسير آيات أشكلت ١/ ٣٨٧، والإشارات الإلهية ٢/ ٢٠٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ١٤٠٨، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٦٠٨، والعذب النمير ٣/ ١٠١١، وشرح العقيدة الواسطية ص ٥٠٠.

(٤) العذب النمير ٣/ ١٠٠٧.

و﴿ثِقَالًا﴾: جمع ثقيل، كغِلاظٍ جمع غَليظٍ، يقال: ثقل الشيء ثِقلاً، كصَغر صِغراً، فهو ثقيل، وجمعه ثقال.

و﴿ثِقَالًا﴾: صفة ﴿سَحَابًا﴾ وهي جمع، لذلك وصفت بالجمع ﴿ثِقَالًا﴾، وهي لغة تميم، ومثله قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾، [الحاقة: ٧][1].

وقد التقت أقوال المفسرين[2]، وأهل الوجوه والنظائر[3]، أن ﴿ثِقَالًا﴾ يراد بها: مشبعة، ومحملة، وموقرة، وكثيرة (الماء)، وبهذا المعنى اتجهت أقوالهم، وتنوعت عباراتهم.

فهذه الرياح تحمل سحاباً موصوفاً بشدة الثقل؛ لكثرة حمله الماء، وامتلائه به، مع دنوه من الأرض.

قال الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) في بيان المعنى: "أي: حملت الرياحُ سحاباً ثقالاً، أي: من كثرة ما فيها من الماء تكون ثقيلة قريبة من الأرض مدلهمَّة[4]، كما قال زيد بن عمرو بن نُفَيل[5] – رحمه الله –:

وأسْلَمْتُ وَجْهي لِمَنْ أسْلَمَتْ ... لَهُ المُزْنُ تَحْمِلُ عَذْباً زلالا

وأسْلَمْتُ وَجْهي لِمَنْ أسْلَمَتْ ... لَهُ الأرض تَحْمِلُ صَخراً ثقالا"[6]

---

(١) انظر: درج الدرر – المنسوب للجرجاني – ٧٦٢/٢، والكتاب الفريد ٧٣/٣، والبحر المحيط ٣٢١/٤.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣٩٦/١، وتفسير كتاب الله العزيز ٢٤/٢، ومعاني القرآن للزجاج ٣٤٥/٢، وتفسير السمرقندي ٥٤٧/١، وتفسير القرآن العزيز ١٢٨/٢، والوجيز ٣٩٨/١، وتفسير القرآن للسمعاني ١٩٠/٢، وتذكرة الأريب ١٨٠/١، والمحرر الوجيز ٤١٣/٢، ومجمع البيان ٦٦٥/٤، والتفسير الكبير ٢٨٩/٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٣/٩، والتسهيل ٣٥/٢، والبحر المحيط ٣٢١/٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٤١/٣، والتبيان ص ٢٠٤، ونظم الدرر ٤٥/٣، والعذب النمير ١٢٧٧/٣.

(٣) انظر: وجوه القرآن ص ٨٨، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٥.

(٤) أي: مظلمة، والمُدْلَهِمُّ: الأسود. انظر: لسان العرب ٢٠٦/١٢ (دلهم).

(٥) هو أبو سعيد، زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي القرشي، ابن عم عمر بن الخطاب ﷺ كان يتعبد على دين إبراهيم ﷺ، وكان يجاهر بعدائه للأوثان، وعادة وأد البنات، توفي قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢٦١/١، والمعارف ص ٥٩، والإصابة ٥٠٧/٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم ١٤٤١/٣، والبيتان من جملة بيوتٍ شعريةٍ في التوحيد، وهي في سيرة ابن إسحاق – المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث و المغازي – ص ٩٧، وبتقديم البيت الثاني على الأول، و انظرها في: السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٧/١، وقد أخرجها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٥١٦/٩، من طريق الزبير بن بكّار، قال: وأنشدني محمد بن الضحاك الحزامي، عن أبيه، لزيد بن عمرو... فذكره بالترتيب نفسه، وبينهما بيت.

الموضع الرابع:

قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

هذا هو الموطن الثاني لمفردة ﴿ثَقُلَتْ﴾ في التنزيل الحكيم.

وفي الآية مسألتان:

المسألة الأولى: سبب النزول: وفيها روايتان:

الرواية الأولى: عن ابن عباس (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما – أنه قال: "قال جَبَلُ بن أبي قُشَيْرٍ[١]، وسَمَوْأَلُ بن زيد[٢] لرسول الله ﷺ: يا محمد، أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا كما تقول، فإنا نعلمُ متى هي. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾"[٣].

وهذه الرواية قد أبانت أن السائل عن الساعة من اليهود.

الرواية الثانية: عن قتادة (ت:١١٧هـ): "قالت قريش لمحمد ﷺ: إن بيننا وبينك قرابة، فأسرّ إلينا متى الساعة؟ فقال الله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤]. وهذه الرواية حددت السائل عن الساعة من قريش.

وفي ظل ضعف ما ورد في سبب النزول، ليس ثمة ما يجزم به ويصح التعويل عليه في تعيين السائل عن الساعة، سواء من قريشٍ أم اليهود.

---

(١) جَبَلُ بن أبي قُشَيْرٍ: أحد يهود بني قريظة، ممن عادى الرسول ﷺ، وعارض دعوته.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٢٩/٢، والبداية والنهاية ٧/٥.

(٢) سَمَوْأَلُ بن زيدٍ: أحد رؤساء بني قريظة، الذين عادوا الرسول ﷺ ودعوته أشد العداء.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١٢٩/٢، وفتح الباري ٣٢٢/٧.

(٣) ذكره ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام ١٨١/٢، وأخرجه الطبري في جامع البيان ٦٠٤/١٠، وزاد السيوطي في الدر المنثور ٦٩٣/٦ نسبته لأبي الشيخ. وإسناده ضعيف. انظر: أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان ٦٥٢/٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٦١١/١٠، وهذا الأثر ضعيف، لأنه مرسل. انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب ١٧٤/٢.

يقول ابن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) معلقاً على سبب نزولها: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة، فأنزل الله هذه الآية، وجائز أن يكون من قريش، وجائز أن يكون من اليهود، ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان.

فتأويل الآية إذن: يسألك القوم الذين يسألونك عن الساعة ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟ يقول: متى قيامها؟"[١].

المسألة الثانية: للعلماء في تعيين معنى ﴿ثَقُلَتْ﴾ في هذا الموطن قولان مشهوران:

القول الأول: كَبُرتْ، وعَظُمتْ، وشَقَّتْ، وفيه وجهان من التأويل بهذا المعنى:

١- كبر وعظم مجيئها على أهل السموات والأرض[٢]. قاله ابن عباس[٣] (ت:٦٨هـ) -رضي الله عنهما-، والحسن البصري[٤] (ت:١١٠هـ).

فالكل يخافونها: محسنهم ومسيئهم[٥]، ففيها من الأهوال و الأوجال ما يصعب على جميع الخلائق[٦].

قال الديريني (ت:٦٩٧هـ):

وقيل: يعني ثَقُلت وُقُوعاً ... فكُلُّهُم يَخَافُهَا جَميعَا[٧].

٢- عظمت وشقت على السموات والأرض. قاله قتادة[٨] (ت:١١٧هـ) في روايةٍ، وابن جريج[٩] (ت:١٥٠هـ).

---

(١) جامع البيان ١٠/٦٠٥.

(٢) انظر: جامع البيان ١٠/٦٠٨، ومعاني القرآن للزجاج ٢/٣٩٣، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/٢٣٧، والكشاف ٢/٥٣٨، والمحرر الوجيز ٢/٤٨٤، والتفسير الكبير ٥/٤٢٤، والكتاب الفريد ٣/١٧٠، ورموز الكنوز ٢/٣٣٣، وتفسير ابن عرفة ٢/٢٧٠.

(٣) انظر: الوسيط ٢/٤٣٣، وزاد المسير ٣/٢٠٢.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٦٠٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢٧، رقم: (٨٦١١)، وانظر: الكشف والبيان ٤/٣١٣، وتفسير القرآن العزيز ٢/١٥٧، والنكت والعيون ٢/٢٨٥، والهداية ٤/٢٦٦٢.

(٥) انظر: الوسيط ٢/٤٣٣، وزاد المسير ٣/٢٠٢.

(٦) انظر: العذب النمير ٤/١٧٤١.

(٧) التيسير في التفسير ١/٨٩، وهذا الوجه من التأويل: اختيار الواحدي في الوجيز ١/٤٢٤، وابن الجوزي في تذكرة الأريب ١/١٩٤، والبيضاوي في أسرار التنزيل ١/٣٧٠، وابن الملقن في تفسير غريب القرآن ص ١٤٦، ومحمد رشيد رضا في تفسير القرآن الحكيم ٩/٣٨٦، والشنقيطي في العذب النمير ٤/١٧٤١، حيث عبَّر عنه بأنه: "أقرب".

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠٦٠٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠٦، وزاد المسير ٣/٢٠٢.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٦٠٩، وانظر: المحرر الوجيز ٢/٤٨٤، والهداية ٤/٢٦٦٢.

وعلى هذا الوجه:

أ – تكون ﴿ فِي ﴾ بمعنى: (على) في قوله: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

ب – والمعنى: لا تطيقها السموات والأرض؛ لعظمها. فالسموات تعجز عن حملها فتنشق، والنجوم تتناثر، والشمس تُلف، والبحار تنضب، والقمر يخسف، والجبال تدك، وتبدَّل الأرض غير الأرض[2].

القول الثاني: خفيت، أي: خفي علم الساعة على أهل السموات والأرض ولم يعلموا ميقاتها. فعظم عليهم خفاؤها. قال بهذا المعنى: قتادة[3] (ت:١١٧هـ) في رواية، والسدي[4] (ت:١٢٨هـ)، ومحمد بن السائب الكلبي[5] (ت:١٤٦هـ).

وقد ذكر ابن عباس (ت:٦٨هـ) –رضي الله عنهما– أن "﴿ثَقُلَتْ﴾ يعني: خفيت بلغة قريش"[6].

والقول المذكور آنفاً اختيار جلة من المفسرين[7]، وأرباب المعاني[8]، وأهل الوجوه والنظائر[9].

يقول الديريني (ت:٦٩٧هـ):

..... قُلْ: ثَقُلَتْ عِلْماً فليستْ تُعْرَفُ[10]

---

(١) انظر: زاد المسير ٣/٢٠٢، والبحر المحيط ٤/٤٣٢، والدر المصون ٥/٥٣٠.

(٢) انظر: تفسير القرآن للسمعاني ٢/٢٣٧، والمحرر الوجيز ٢/٤٨٤، والتفسير الكبير ٥/٤٢٤، والجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠٦، والعذب النمير ٤/١٧٤٢.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن ٢/٢٤٤، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢٧، رقم: (٨٦١١).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٠/٦٠٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٥/١٦٢٧، رقم: (٨٦١٢).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسير القرآن ٢/٢٤٤.

(٦) انظر: لغات العرب في القرآن ص ٢٦.

(٧) كمقاتل في تفسيره ١/٤٢٧، والطبري في جامع البيان ١٠/٦٠٩، والسخاوي في تفسير القرآن ١/٣٠٦، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠٥، وشيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: الفتاوى الكبرى ٣/١١، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٤/١٥٢٠، وأبي السعود في إرشاد العقل السليم ٣/٣٠١.

(٨) كالفراء في معاني القرآن ١/٣٩٩، وأبي عبيدة في مجاز القرآن ١/٢٣٥، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ١٧٥، والنحاس في معاني القرآن ٣/١١١، وابن عُزَير في نزهة القلوب ص ١٨٤، ومكي في تفسير المشكل ص ٤٩، والخزرجي في نفس الصباح ١/٣٥٩، وابن عبدالسلام في مجاز القرآن ص ٣١٠، والرازي في تفسير غريب القرآن ص ٣٨٦، والتركماني في بهجة الأريب ص ٨٨، وابن الهائم في التبيان ص ٢١٤.

(٩) اقتصر على هذا الوجه إسماعيل الضرير الحميري في وجوه القرآن ص ٨٩. ومن عداه من كتاب الوجوه والنظائر ممن ساق أوجه المعاني للمفردة، كالدامغاني، وابن الجوزي، لم يتعرضوا لهذه الآية، مع تنوع معانيها، والاختلاف فيها؛ ففات محلها وموقعها؛ لقاصد النظر، وجامع الأثر.

(١٠) التيسير ١/٨٩.

ولا بِدْعَ ولا فُجاءةَ: أن ما خفي ثقل، وما استتر علمه عظم، وكل ما استصعب إدراك خبره، والوصول إليه؛ فهو شاق، وكبير على النفس.

قال أبو علي الفارسي: (ت:٣٧٧هـ): "أصل هذا قولهم: أحطتُ به علماً، أي: ذَلَّ لي فصرت لعلمي به غالباً عليه فخَفَّ عليَّ ولم يثقل، كما يثقل ما لا يعلمه عليه[١]، ألا تراه قال: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾"[٢].

وقد صوَّب إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) هذا القول – أي: الثاني– واستدل عليه بسياق الآية ولحاقها، حيث قال: =وأولى عندي بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السماوات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يُطلع عليه منهم أحداً. وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾. وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتةً، فالذي هو أولى؛ أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك"[٣].

وقد قصد بعض المفسرين مسلك الجمع، وحملوا المعنى على:

١– خفاء علمها على أهل السماء والأرض، وكل خفي ثقيل.

٢– عظم أمرها وشدتها عليهم كذلك.

وبعد أن ذكر الحافظ ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) قول ابن جرير (ت:٣١٠هـ) وأيده، قال عقبه: =ولا ينفي ذلك ثقل مجيئها على أهل السموات والأرض"[٤].

وجمع بينهما البقاعي (ت:٨٨٥هـ) بقوله: ﴿ثَقُلَتْ﴾ أي: الساعة فغاصت إلى حيث لم يتغلغل إليها علم العباد، فأهمهم كلهم عليَّ شأنها، ولذلك عبَّر بالظرف، فقال: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: نسبة أهلهما إلى خفائها والخوف منهما على حد سواء..."[٥].

وقال السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: خفي علمها على أهل السموات والأرض، واشتد أمرها أيضاً عليهم، فهم من الساعة مشفقون"[٦].

---

(١) في مجمع البيان ٤/ ٧٧٨. =كما يثقل مالا تعلمه عليك+.

(٢) انظر: كشف المشكلات ١/ ٤٨٧، ومجمع البيان ٤/ ٧٧٨.

(٣) جامع البيان ١٠/ ٦٠٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٥٢٠.

(٥) نظم الدرر ٣/ ١٦٥.

(٦) تيسير الكريم الرحمن ص ٣٤٢.

وبعد: فهذه محصلة ما ذكره أهل التفسير، والمتجه هو القول بالجمع في الكل، وذلك لأمورٍ:

١ – أن المعاني المتقدمة يحتملها اللفظ ويعمها، والقاعدة: أنه متى احتمل اللفظ وجوهاً متعددة، وأمكن حملها عليها جميعاً، فإننا نحمل الآية على جميع تلك المعاني.

٢ – أنه يشهد لكلا القولين ما جاء في بعض سياقات الإخبار عن الساعة ووصفها:

فالقول الأول بوجهيه، يشهد له إخبار الله تعالى عن زلزلة الساعة، وأنها شيء عظيم، حيث قال في محكم التنزيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١– ٢]. فالوصف بالزلزلة دلالة على انقلاب الموازين الكونية من هول ذلك اليوم العصيب، وفيها يتملك المرء الهلع والاضطراب من فجاءة الموقف، وعظيم الواقعة، فهو بحقٍّ مشهد رهيب، وحدث جليل، ينخلع له القلب، ويحار الفكر فيه، وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ ۝١٧ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٧– ١٨].

والقول الثاني يشهد له قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ [طه: ١٥]، يعني: أكاد أُخفيها من نفسي؛ لئلا يطلع عليها أحد، مبالغة في الإخفاء، جرياً على المعهود من كلام العرب، فإن أحدهم إذا أراد المبالغة في كتمان الخبر، واستتاره عن الغير، يقول: (كدت أخفي هذا الأمر عن نفسي)[1].

والساعة خفيت عن الخلق، ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، ﴿عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [لقمان: ٣٤].

٣ – أن ما انتزع دليلاً من السياق لمعنى الخفاء، كذلك هو حاصل للقول بعظم وكبر وقوع الساعة على السموات والأرض، وكذا أهلها، من خلال النظر إلى السباق في قوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾، فتصوير اللفظ بالتجلي دلالة على عظمة المتجلي، وفخامة شأنه،

---

(١) انظر: جامع البيان ٣٨/١٦، والمحرر الوجيز ٤٠/٤، وتيسير الكريم الرحمن ص ٥٨١.

وفي قيام الساعة من شدة الأهوال و الأوجال ما لا تطيقه السموات والأرض، وما يشق على أهلها ويعظم، لفظاعة الوقوع، وشدة المكروب.

وبهذا يتبين:

١ – سعة الدائرة الدلالية لـ ﴿ثَقُلَتْ﴾ في إطلاقها ههنا.

٢ – التئام المعاني في مجموعها.

٣ – التلاؤم بين مقاماتها عند اقترانها.

الموضع الخامس:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وردت لفظة: ﴿أَثْقَلَت﴾ مرة واحدة في الكتاب الكريم.

وقد قرئت: (أُثْقِلَتْ) على البناء للمفعول، والهمزة فيها للتعدية، أي: أثقلها الحمل، وهي قراءة شاذة بهذه الصيغة[1]، في مقابل قراءة الجماعة: ﴿أَثْقَلَت﴾ على البناء للفاعل.

وفي قوله: ﴿أَثْقَلَت﴾ وجوه من التأويل:

الأول: كلفة الحمل، وهذا محمول على الثقل بعينه، وهو معناه الحقيقي، يقال: أثْقَلَتِ المرأة، فهي (مُثْقَلٌ)، كـ(أقربت)، إذا قرب ولادُها، وبهذا المعنى قال جماعات من المفسرين[2] وأهل الوجوه والنظائر[3].

فقوله: ﴿أَثْقَلَت﴾:

- صارت ذات ثِقلٍ، كما تقول: (أثمر النخل)[4].
- أو دخلت في الثِّقل، كما تقول: (أصبح وأمسى)[5].

---

(١) انظر: مختصر في شواذ القرآن ص ٥٣، والكشاف ٢/٥٤١، والبحر المحيط ٤/٤٣٧، وروح المعاني ٩/١٣٨.

(٢) انظر: جامع البيان ١/٦١٩، وتفسير السمرقندي ١/٥٨٨، وزاد المسير ٣/٢٠٤، والكتاب الفريد ٣/١٧٤، والجامع لأحكام القرآن ٩/٤٠٩، والتسهيل ٢/٥٧، ونظم الدرر ٣/١٦٨، وإرشاد العقل السليم ٣/٣٠٣، والتحرير والتنوير ٩/٢١٢.

(٣) انظر: قاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٥.

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش ٢/٥٣٩، وجامع البيان ١٠/٦١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٢/١٦٧، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، ورموز الكنوز ٢/٣٣٧، والبحر المحيط ٤/٤٣٧، والدر المصون ٥/٥٣٤، واستظهره الألوسي في روح المعاني ٩/١٣٨.

(٥) انظر: البحر المحيط ٤/٤٣٧، والدر المصون ٥/٥٣٥، وروح المعاني ٩/١٣٨.

الثاني: كَبِرَ الولد في بطنها، قاله السدي[1] (ت: ١٢٨هـ).

الثالث: استبان حملها[2]، أي: فاشتهر بها الحمل.

الرابع: دنت ولادتها[3].

وكل ما ذكر في حقيقته داخل في عموم هذه اللفظة الموجزة المعجزة، وتفسيراتهم مرادة هنا، وهي متناولة لأجزاء من المعنى، فلا تنافي بينها.

الموضع السادس:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨].

لم يرد لفظ: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ إلا مرة واحدة في كتاب الله الكريم.

﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ أصله: (تثاقلتم)، أُدغمت التاء في الثاء بعد القلب؛ لاشتراكهما في الهمس، وتقاربهما في المخرج، واجتلبت ألف الوصل للابتداء لمَّا سكن الحرف للإدغام.

ولفظه: ماضٍ، ومعناه: المستقبل، ووزنه بعد الإبدال: (افَّاعل)، وهذه الصيغة دالة على تكلف الثقل، والتظاهر به[4].

والمعنى المعجمي للفظ يحمل معنى التباطؤ، "يقال: تثاقل عن الأمر. واثَّاقل إلى الدنيا: أخلد إليها، وفي المثل: (وطئه وطْأَةَ المتثَاقِل)، وهو المتحامل على الشيء بوطئه"[5].

وقد قرأ ابن مسعود[6] (ت: ٣٥هـ) ﷺ، والأعمش الكوفي[7] (ت: ١٤٨هـ): (تثاقلتم) على صيغة: (تَفَاعل)، وهي قراءة شاذة[8].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٦١٩/١٠، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ١٦٣٢/٥، رقم: (٨٦٤٤).

(٢) انظر: تفسير كتاب الله العزيز ٦٥/٢، ومعاني القرآن للنحاس ١١٤/٣، وقاموس القرآن ص ٩٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٠٠/١، ومعاني القرآن للزجاج ٣٩٥/٢، والوجيز ٤٢٥/١، وتفسير القرآن للسمعاني ٢٣٨/٢.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء ٤٣٨/١، ومجاز القرآن ٢٦٠/١، ومعاني القرآن للأخفش ٥٥٤/٢، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٦، وجامع البيان ٤٥٨/١١، ومعاني القرآن للزجاج ٤٤٧/٢، وإعراب القرآن للنحاس ٢١٤/٢، والكتاب الفريد ٢٦٤/٣، ورموز الكنوز ٤٩٥/٢، والبحر المحيط ٤٣/٥، والعذب النمير ٢٣١٣/٥، ومعجم مفردات الأبدال ص ٣٤٣.

(٥) أساس البلاغة ١١٠/١، وانظر المثل في: جمهرة الأمثال ٣٢٨/٢، وأوله: (وطئته) بدلاً من: (وطئه).

(٦) انظر: شواذ القراءات للكرماني ص ٢١٣، وزاد المسير ٢٩٦/٣، ورموز الكنوز ٤٩٥/٢.

(٧) انظر: المصادر السابقة، ومختصر في شواذ القرآن ص ٥٧، والكشاف ٤٤/٣، والمحرر الوجيز ٣٤/٣، والكتاب الفريد ٢٦٤/٣.

(٨) انظر: إعراب القراءات الشواذ ٦١٧/١.

وقرئ (أَثَّاقَلْتُم)؟ على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ، وهي قراءة شاذة[1].

ونلحظ: أن صيغة ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ توحي بالبطء والثقل؛ لما فيها من تشديد الثاء، الحاصل من الإدغام، فالبطء في تلفظ الكلمة ذاتها يوحي بالحركة البطيئة التي تكون من المتثاقل، بخلاف رصف حروف (تثاقلتم)، ففيها خفة وسرعة؛ بسبب فك الإدغام، وزوال الشدة[2].

وللمفسرين، وأرباب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر في المقصود بـ ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾ عدة أقوال:

الأول: اطمأننتم، قاله الضحاك[3] (ت: ١٠٥هـ).

الثاني: لزمتم وأقمتم[4].

الثالث: ركنتم وقعدتم[5].

الرابع: اشتهاء الجلوس[6].

الخامس: مِلْتُم[7].

السادس: أخلدتم[8].

السابع: تباطأتم[9].

الثامن: تقاعستم[10].

---

(١) نسبها ابن خالويه في شواذ القرآن ص ٥٧، والكرماني في شواذ القراءات ص ٢١٣ لأبي عمرو، وبلا نسبة في الكشاف ٣/ ٤٤، والكتاب الفريد ٣/ ٢٦٤، والبحر المحيط ٥/ ٤٣، والدر المصون ٦/ ٥٠.

(٢) انظر: التعبير الفني ص ١٨٥، والخلاف التصريفي ص ٤٢٦.

(٣) انظر: النكت والعيون ٢/ ٣٦٢، وزاد المسير ٣/ ٢٩٧.

(٤) انظر: جامع البيان ١/ ٤٥٨، ومعاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٤٧، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٢، والوجيز ١/ ٤٦٤، ومعالم التنزيل ٤/ ٤٨.

(٥) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٦، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٦) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩.

(٧) انظر: الكشاف ٣/ ٤٤، والكتاب الفريد ٣/ ٢٦٤، قال ابن سيده: =وعَدَّاه بـ ﴿إِلَى﴾ ؛ لأن فيه معنى: مِلْتُم= المحكم ٦/ ٣٥٤، وانظر: لسان العرب ١١/ ٨٧ (ثقل).

(٨) انظر: الغريبين ١/ ٢٨٧، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦.

(٩) انظر: الكشف ٥/ ٤٦، والعذب النمير ٥/ ٢٣١٣.

(١٠) انظر: رموز الكنوز ٢/ ٤٩٥، والعذب النمير ٥/ ٢٣١٣.

التاسع: تكاسلتم[1].

وما سيق من المعاني المسرودة داخل في دائرة اللفظ، فهي تعابير متقاربة ومتوافقة للمتمعن فيها، ومنسجمة مع السياق والنظم.

والمقصود: التحذير من التباطؤ والتقاعس عن الخروج للجهاد في سبيل الله ميلاً للدنيا، وركوناً للإقامة بالأرض والمساكن، طلباً للراحة والدَّعَة.

يقول الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ): "وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بـ ﴿إِلَى﴾، والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها، وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه؛ ونحوه: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم وداركم"[2].

الموضع السابع:

قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

تقدم ورود ﴿ثِقَالًا﴾ في آية سورة الأعراف[3]، وهذا هو الموطن الثاني -- والأخير لهذه اللفظة في النص القرآني.

والثِّقَال: جمع ثقيل. والـ (فَعيل) إذا كان وصفاً يكثر جمعه على الـ (فِعَال) جمع كثرةٍ[4].

وفي الآيات ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أول ما نزل من سورة (براءة).

ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن أول ما نزل من سورة (براءة): قوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

فعن أبي الضَّحى مُسلم بن صُبَيح (ت: ١٠٠هـ) قال: "أول ما نزل من (براءة): ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾"[5].

---

(١) يقول الدريني في التيسير ١/٩٦:

يُواطِئُو: يُوافِقُوا. اثَّاقَلْتُم: يَعني تثاقَلْتُمْ وقَدْ كَسِلْتُم.

وانظر: العذب النمير ٥/٢٣١٢.

(٢) الكشاف ٣/٤٤. وانظر: الكتاب الفريد ٣/٢٦٤. والتحرير والتنوير ١٠/١٩٧.

(٣) انظر: الموضع الثالث من البحث.

(٤) انظر: شذا العرف ص ١٦٠. والعذب النمير ٥/٢٣٤٠. وصيغ الجموع ١/٣٢٢.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ٥/٢١٤، رقم: (١٩٣٥٤). وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٧/٣٨٧ للفريابي، وأبي الشيخ.

وعن أبي مالكٍ غزوان الغفاري قال: =أول شيء نزل من (براءة): ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ +[1].

المسألة الثانية: آية النفير بين النسخ والإحكام.

اختلف أهل العلم في آية النفير، هل هي محكمة أو منسوخة؟

فذهب إلى القول بالنسخ: ابن عباس[2] (ت:٦٨هـ) – رضي الله عنهما – بخلافٍ عنه[3]، ومُرَّة الهَمداني[4] (ت:٧٦هـ تقريباً)، وعكرمة[5] (ت:١٠٥هـ)، والسدي[6] (ت:١٢٨هـ)، وذكر دعوى النسخ فيها السيوطي[7]. والناسخ لها: آيات العُذر، مثل قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التوبة:٩١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة:١٢٢].

وذهب إلى أنها محكمة: النحاس[8] (ت:٣٣٨هـ)، وابن الجوزي[9] (ت:٥٩٧هـ)، وابن العربي[10] (ت:٥٤٣هـ)، ومصطفى زيد[11].

والقول بنسخها مرغوب عنه، والصحيح إحكامها، إذ هي داعية للنفرة حين الاستنفار للجهاد في سبيل الله تعالى، والحرج مرفوع عن الضعيف، والمريض، وصاحب الحاجة ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة:٩١]، ومن أبيح له القعود من المؤمنين؛ حتى لا تخلو دار الإسلام من أهلها، فيغير

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٥/٢٥١، رقم: (١٠١٦)، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٤/٢١٥، رقم: (١٩٣٦١)، وزاد نسبته في الدر المنثور ٧/٣٨٧ لابن المنذر. وانظر: معاني القرآن للنحاس ٣/٢١١، والإتقان ١/١٧٤.

(٢) أخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ ص ٢٠٥، رقم: (٣٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٦/١٨٠٣، رقم: (١٠٠٦٢)، والجصاص في أحكام القرآن ٣/١٥٠، وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣٦٦. وانظر: الناسخ والمنسوخ لعبدالقاهر البغدادي ص ١١٩، والإيضاح ص ٣١٤، والناسخ والمنسوخ لابن العربي ٢/٢٤٨، وصفوة الراسخ ص ١١٠.

(٣) انظر: صفوة الراسخ ص ١١٠.

(٤) انظر: المصدر السابق.

(٥) انظر: الإيضاح ص ٣١٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٦/١٨٠٣، رقم: (١٠٠٦٣)، وانظر: أسباب نزول القرآن ص ٤١٤، ونواسخ القرآن ص ٣٦٦.

(٧) انظر: الإتقان ٤/١٤٤٦.

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ ٢/٢٨٧.

(٩) انظر: نواسخ القرآن ص ٣٦٦.

(١٠) انظر: الناسخ والمنسوخ ٢/٢٤٩.

(١١) انظر: النسخ في القرآن ٢/٧٤٥.

عليها أهل الكفر والعدوان، أو لئلا يتم استئصال شأفتهم حين يُغلبون[1]، ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢].

المسألة الثالثة: الأقوال التفسيرية ﴿ثِقَالًا﴾.

اختلف المفسرون، وأصحاب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر، في تعيين المراد بقوله: ﴿ثِقَالًا﴾ - المقابل لقوله: ﴿خِفَافًا﴾ - على أقوالٍ:

الأول: شيوخاً[2]. قاله أبو طلحة[3] (ت: ٣٤٠هـ)، وابن عباسٍ[4] (ت: ٦٨هـ) - رضي الله عنهما - في رواية، وأبو صالحٍ[5] (ت: بين ٩٠ - ١٠٠هـ) في رواية، والشعبي[6] (ت: ١٠٣هـ)، ومجاهد[7] (ت: ١٠٤هـ) في رواية، وعكرمة[8] (ت: ١٠٥هـ)، والضحاك[9] (ت: ١٠٥هـ)، والحسن البصري[10] (ت: ١١٠هـ)، وشِمْر بن عطية[11]، وزيد بن أسلم[12] (ت: ١٣٦هـ)، ومقاتل بن حيان[13] (ت: في حدود ١٥٠هـ).

---

(١) انظر أدلة القائلين بإحكامها في: مصادرهم المتقدمة.

(٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٧، وتفسير السمرقندي ٢/ ٥٢، ووجوه القرآن ص ٨٩، والوجيز ١/ ٤٦٥، وقاموس القرآن ص ٩٣، وباهر البرهان ١/ ٥٩١، ونفس الصباح ١/ ٣٨١، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦، ورموز الكنوز ٢/ ٥٠٣.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٣٨٥، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه ٤/ ٢٣١، رقم: (١٩٥٠٣)، والطبري في جامع البيان ١١/ ٤٦٨، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب أصل فرض الجهاد، ٩/ ٣٦، رقم: (١٧٨٠١)، وانظر: الهداية ٤/ ٣٠٠٧.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٢.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٤/ ٢١٥، رقم: (١٩٣٦٢)، والطبري في جامع البيان ١١/ ٤٦٩، وانظر: الهداية ٤/ ٣٠٠٧.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٢، وزاد المسير ٣/ ٣٠٠.

(٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٦٩، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥.

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٤/ ٢١٥، رقم: (٩٣٦٥)، وانظر: الهداية ٤/ ٣٠٠٧.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٦٩، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠، والهداية ٤/ ٣٠٠٧.

(١٠) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٤/ ٢١٥، رقم: (١٩٣٦٣)، (١٩٣٦٧)، وانظر: تفسير كتاب الله العزيز، ٢/ ١٣٤، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٢، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠، والهداية ٤/ ٣٠٠٧، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥.

(١١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٦٩، عن (بشر)، ولعله تحرف عن شِمْر فيتأمل. وانظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٢، وزاد المسير ٣/ ٣٠٠.

(١٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٦/ ١٨٠٢.

(١٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٦٩.

الثاني: مشاغيل – أي: ذوي أشغال –، قاله الحسن البصري[1] (ت: ١١٠هـ) في رواية، والحكم بن عُتيبة[2] (ت: ١١٥)، وزيد بن علي[3] (ت: ١٢٥هـ).

الثالث: غير نِشاطٍ، قاله ابن عباس[4] (ت: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما – في رواية، وقتادة[5] (ت: ١١٧هـ)، ومقاتل بن سليمان[6] (ت: ١٥٠هـ).

الرابع: فقراء[7]، قاله ابن عباس[8] (ت: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما – في رواية، وأبو صالح[9] (ت: بين ٩٠ – ١٠٠هـ) في رواية، ومجاهد[10] (ت: ١٠٤هـ) في رواية.

الخامس: أغنياء[11].

السادس: من له عيال[12]، قاله زيد بن أسلم[13] (ت: ١٣٦هـ) في رواية.

السابع: رجَّالة – أي: مشاة – قاله: ابن عباس[14] (ت: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما – في رواية، وابن عمر[15] (ت: ٧٣هـ)، وعطية العَوْفي[16] (ت: ١١١هـ)، وأبو عمرو الأوزاعي[17] (ت: ١٥٧هـ).

---

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠، والكشف ٥/ ٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٤/ ٢١٥، رقم: (١٩٣٦٤)، والطبري في جامع البيان ١١/ ٤٧، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٨٣، رقم: (١٠٠٥٩)، وانظر: الكشف ٥/ ٤٩، والهداية ٤/ ٣٠٠٧.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢٠.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٧١، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٨٠٢، رقم: (١٠٠٥٨)، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠، والهداية ٤/ ٣٠٠٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ١/ ٢٧٦، وابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه، ٤/ ٢١٥، رقم: (١٩٣٦٣)، والطبري في جامع البيان ١١/ ٤٧١، وانظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠، والهداية ٤/ ٣٠٠٨، والغريبين ١/ ٢٨٧، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥.

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٤٨.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج ٢/ ٤٤٩، ووجوه القرآن ص ٨٩، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٢٣.

(٨) انظر: زاد المسير ٣/ ٣٠٠.

(٩) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٧١، وانظر: الهداية ٤/ ٣٠٠٧.

(١٠) انظر: الهداية ٤/ ٣٠٠٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥، وزاد المسير ٣/ ٣٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢٠.

(١١) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤٢٩، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٧.

(١٢) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٨٧، ووجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص٩٣.

(١٣) انظر: زاد المسير ٣/ ٣٠٠، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢٠.

(١٤) انظر: زاد المسير ٣/ ٣٠٠.

(١٥) انظر: أحكام القرآن للجصاص ٣/ ١٥٠.

(١٦) انظر: المصدر السابق.

(١٧) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٧٢، وانظر: الهداية ٤/ ٣٠٠٨، والنكت والعيون ٢/ ٣٦٥.

الثامن: الذي له ضَيْعة[1]، قاله ابن زيد[2] (ت:١٨٢هـ).

التاسع: الفرسان، قاله الأوزاعي[3] (ت:١٥٧هـ).

العاشر: مُتأهلين[4].

الحادي عشر: عن المخالفة والمعصية[5]، أي: في بعدٍ عن ذلك.

الثاني عشر: مستكثرين من السلاح[6].

الثالث عشر: مستوطنين[7].

الرابع عشر: الجبان، حكاه النقاش[8] (ت: ٣٥١هـ).

الخامس عشر: كارهين[9].

السادس عشر: الجيش بأسره[10]، وذلك لكثرة عدده.

السابع عشر: العسر، قاله الحسن البصري[11] (ت:١١٠هـ) في رواية.

وقد جمع بعضهم جملة من هذه الأقوال في نظمه، كما فعل ابن المنير (ت:٦٨٣هـ) إذ يقول:

لفْـــظُ "خِفَـــافٍ وثِقَـــالٍ" أطلقَـــا ... علـــى شـــباب وشـــيوخ نَـــسَقا

أو راكبـــين وعلـــى الأقـــدامِ ... أو موســـــرين وذوي إعـــــدام

أو عُزَّبـــاً مخفَّفِـــي الأثقـــالِ ... ومُثقَلـــي الظهـــور بالعيـــال[12]

---

(١) الضَّيْعة: العقار، أو الأرض المُغلَّةُ. انظر: لسان العرب ٨/ ٢٣٠ (ضيع).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١/ ٤٧٢، وانظر: الهداية ٤/ ٣٠٠٨.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢١.

(٤) انظر: الكشف ٥/ ٤٩، ومعالم التنزيل ٤/ ٥٤، وزاد المسير ٣/ ٣٠٠.

(٥) انظر: النكت والعيون ٢/ ٣٦٦، ومسائل منثورة ص ٢٨.

(٦) انظر: الكشف ٥/ ٤٩.

(٧) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤.

(٨) انظر: المحرر الوجيز ٣/ ٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢١.

(٩) انظر: تفسير القرآن للسخاوي ١/ ٣٣٨.

(١٠) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢١، والتحرير والتنوير ١٠/ ٢٠٧.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٨٠٣، رقم: (١٠٠٦٠)، وانظر: معاني القرآن للنحاس ٣/ ٢١١، وقد عدَّه من أجمع الأقوال، والغريبين ١/ ٢٨٧، والهداية ٤/ ٣٠٠٨.

(١٢) التيسير العجيب ص ٧٥.

وسلكها نظماً الديريني (ت:٦٩٧هـ) حيث يقول:

قُـــل: انْفِـــرا: ســـيروا إلـــى الجهـــاد ... فـــي حَـــالِ تيـــسيرٍ وفـــي اجتهـــادِ

فـــي خِفّـــةِ الـــشبابِ واليَـــسَارِ ... وفـــي الرُّكُـــوبِ والفـــراغُ جـــاري

أو ثِقَـــلِ الـــشيوخِ والإعْـــسَارِ ... والمـــشْيِ والأشـــغالِ والأعـــذارِ[1]

وبعد هذا الرصد للمعاني المتكاثرة ﴿ثِقَالًا﴾ يتبين ما يلي:

أولاً: أن بعض الأوجه قد ينعكس فيكون في الخفيف، كالفقر والغنى، والفارس والجبان...

فيقال مثلاً:

– الغني هو الثقيل بمعنى صاحب الشغل، أو الفقير لشدة عوزه.

– والشجاع هو الثقيل، لوطأته على العدو، أو الجبان لثقل الخروج عليه ومشقته.

ثانياً: أن هذه التفسيرات وتقاسيمها، إنما هي تمثيل لحال الثقل، بذكر صورةٍ من صوره على سبيل التمثيل لا التخصيص، فهي تصدق عليه ولا تستوعبه.

ثالثاً: سعة مدلول ﴿ثِقَالًا﴾ في هذا الموضع، فهو يتناول:

١– الأجسام وصفتها: كالكبر والمرض والكسل...

٢– والأسباب والأحوال: كالفقر، والشواغل، ووجود العيال...

لذا جاءت الأقوال تمثيلاً لهذا المعنى العام، فهذا الوصف – أعني: ثقالاً – ينطبق على كل من لزمه الثقل وأعسره من الأنواع المذكورة المختلفة، من غير تخصيصٍ لهذه الكلمة بأحد أفرادها، أو أنواعها، وبهذا ينتظم المعنى ولا يختل.

رابعاً: جاءت ﴿ثِقَالًا﴾: وجيزة في لفظها، غزيرة في معناها، وهذا من إعجاز القرآن، وبيانه الباهر، حيث تختزل المفردة الواحدة كمًّا جليلاً من المعاني، وتجمع وجوهاً وفيرة من البيان.

وقد رجح كبير أعلام المفسرين محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) القول بالعموم دون تخصيص حيث قال:

---

(١) التيسير في التفسير ٩٧/١.

"وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكرُه أمر المؤمنين بالنَّفْر لجهاد أعدائه في سبيله، خِفافاً وثقالاً... ويدخُلُ في الثِّقال كلُّ من كان بخلاف ذلك -- أي: الخفاف -- من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه، ومن مُعسرٍ من المال، ومُشتغلٍ بضَيعةٍ ومَعاشٍ، ومن كان لا ظَهْر له ولا رِكابَ، والشيخُ ذو السِّنِّ والعيال.

فإذ كان قد يَدْخُل في الخِفاف والثِّقال مَن وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا، ولم يكن الله – جل ثناؤه – خصَّ من ذلك صِنفاً دون صنفٍ في الكتاب، ولا على لسان الرسول ﷺ، ولا نصَبَ على خُصوصِه دليلاً، وجَب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنَّفْر للجهاد في سبيله خِفافاً وثِقالاً مع رسوله ﷺ على كل حالٍ من أحوال الخفةِ والثِّقَلِ"[1].

وقال أبو بكر الجصاص (ت: ٣٧٠هـ) بعد أن استاق جملة من الأقوال: "كل هذه الوجوه يحتمله اللفظ، فالواجب أن يعمّها، إذ لم تقم دلالة التخصيص"[2].

ولما أورد الراغب الأصفهاني (ت: في حدود ٤٢٥هـ) بعض أوجه تأويلها، قال عقبها: "وكل ذلك يدخل في عمومها، فإن القصد بالآية الحثُّ على النفر على كل حالٍ تصعَّب أو تسهَّلط"[3].

وكذا أجرى الآية على عمومها جلة من العلماء[4].

الموضع الثامن:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

هذا هو الموطن الثاني من مواطن ورود كلمة: ﴿مِّثْقَالِ﴾.

والكلام هنا لا يختلف عن سابقه في الموضع الأول، بما يغني عن إعادته.

---

(١) جامع البيان ١١/ ٤٧٤.

(٢) أحكام القرآن ٣/ ١٥٠.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤.

(٤) انظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢/ ٥١٦، والمحرر الوجيز ٣/ ٣٧، والجامع لأحكام القرآن ١٠/ ٢٢١، والتسهيل ٢/ ٧٦، والتحرير والتنوير ١٠/ ٢٠٧، والعذب النمير ٥/ ٢٣٤٠، وتفسير القرآن الحكيم ١٠/ ٤٠٥.

وفي الآية بيان أنه تعالى لا يغيب عن علمه، ولا يخفى عليه وزن ذرَّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ثقل وزن ذرَّةٍ موجودة في هذا الكون، مما لا تدركه العين المجردة، ولا أكبر ولا أعظم مقدارٍ موجودٍ في هذا الوجود، إلا وهو معلوم له، ومسجل في كتابٍ عظيم الشأن، فيه مقادير الأمور، ورصد الأعمال، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

الموضع التاسع:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢].

لم يرد لفظ: ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ معرفاً بـ (أل) إلا مرة واحدة في الذكر الحكيم.

و﴿ٱلثِّقَالَ﴾: جمع ثقيلة، ووصف بها السحاب؛ لأنها اسم جنسٍ في معنى الجمع، تقول: سحابة ثقيلة، وسحاب ثقال، كما تقول: امرأة كريمة، ونساء كرام[1].

"والسحاب يكون ثقيلاً: بمقدار ما في خلاله من البخار، وعلامة ثقله: قربه من الأرض، وبطء تنقله بالرياح"[2].

والسحاب الثقال يُقابل السحاب الجَهَام، الذي لا ماء فيه[3].

قال قيس بن الخَطِيم (ت: نحو ٢ ق هـ):

فمـا رَوْضَـةٌ مِـنْ ريـاضِ القَطـا ... كـأنَّ المـصابيحَ حُوْذَانُهـا

بأحْـسَنَ مِنْهَـا، ولا مُزْنَـةٌ ... دَلُـوحٌ تكـشَّفُ أدْجَانُهـا[4]

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٦٠، وجامع البيان ٣/ ٤٧٥، والكشاف ٣/ ٣٣٩، وتفسير القرآن العظيم للسخاوي ١/ ٤٢٢، والكتاب الفريد ٣/ ٣٦٣، وإرشاد العقل السليم ٥/ ٩.

(٢) التحرير والتنوير ١٣/ ١٠٤، وانظر: تفسير المراغي ١٣/ ٨١.

(٣) انظر: الصحاح ٢/ ١٤٠٢ (جهم).

(٤) ديوان قيس بن الخَطِيم ص ٦٧ – ٦٨، وانظر: الأغاني ١/ ٦١٨.

والروضة: البقعة يجتمع إليها الماء فيكثر نبتُها، ولا يقال ذلك في مواضع الشجر.

والحُوْذان: نبت طيب الريح له زهرة حسنة.

والمزنة: السحابة البيضاء، وجمعها: مُزْن.

والدَّلوح: التي تجيء مُثْقلة. يقال: مرَّ يَدْلَحُ بحمله، إذا مرَّ به مُثقلاً.

والدَّجْن: إلباس الغيم الأرض، وإذا انكشف السواد وبقي البياض كان أحسن لها.

انظر: المصدرين السابقين، ولسان العرب ٧/ ١٦٢ (روض)، ٣/ ٤٨٨ (حوذ)، ١٣/ ٤٠٦ (مزن)، ٢/ ٤٣٥ (دلح)، ١٣/ ١٤٧ (دجن).

ومعنى ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ هنا: الذي فيه الماء، قاله مجاهد[1] (ت: ١٠٤هـ)، وقتادة[2] (ت: ١١٧هـ)، أي: الممتلئ، أو الكثير، أو الحامل الماء، وبهذا المعنى اتفقت كلمة المفسرين قاطبة[3]، فهو مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ [الأعراف: ٥٧].

الموضع العاشر:

قوله تعالى: ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ٧].

لفظ: ﴿أَثۡقَالَكُمۡ﴾ ورد مرة واحدة في التنزيل العزيز.

والأثقال: جمع (ثِقْل)، أو (ثَقَل)[4] – بفتحتين –.

وللعلماء بالتفسير، وأصحاب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر في معنى ﴿أَثۡقَالَكُمۡ﴾ عدة أقوال:

الأول: أمتعتكم[5].

يقول ابن المنير (ت: ٦٨٣هـ):

"والثِّقْل" للمتاع فيما يُنقَل[6] .....

الثاني: أمتعتكم، وزادكم[7].

الثالث: أحمالكم[8].

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣/٤٧٦، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور ٨/٣٩٨ لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وانظر: تفسير كتاب الله العزيز ٢/٢٩٨، والنكت والعيون ٣/١٠٠.

(٢) انظر: المحرر الوجيز ٣/٣٠٣، والبحر المحيط ٥/٣٦٦.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٢/١٧٠، وجامع البيان ٣/٤٧٥، وتفسير السمرقندي ٢/١٨٧، والكشاف ٣/٣٣٩، ووجوه القرآن ص ٨٨، والهداية ٥/٣١٩٩، والوجيز ١/٥٦٧، والملخص في إعراب القرآن ص ٨٠، ومعالم التنزيل ٤/٣٠٣، والمحرر الوجيز ٣/٣٠٣، وزاد المسير ٤/٢٣٢، والجامع لأحكام القرآن ١٢/٣٤، والتسهيل ٢/١٣٢، والبحر المحيط ٥/٣٦٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/١٨٨٣، وإرشاد العقل السليم ٥/٩، والتحرير والتنوير ١٣/١٠٤.

(٤) انظر: تهذيب اللغة ٩/٧٩ (ثقل)، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والتحرير والتنوير ١٤/١٠٦.

(٥) انظر: تهذيب اللغة ٩/٨٠ (ثقل)، والوجيز ١/٦٠١، وتفسير القرآن للسمعاني ٣/١٦٠، ومجمع البيان ٦/٥٣٩، وزاد المسير ٤/٣١٤، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والبحر المحيط ٥/٤٦١.

(٦) التيسير العجيب ص ٩٤.

(٧) انظر: تفسير السمرقندي ٢/٢٢٨، ووجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٨) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، ومعالم التنزيل ٥/٩، وأنوار التنزيل ١/٥٣٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/١٩٧٩، وروح المعاني ١٤/٩٩.

الرابع: أبدانكم[1]، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة:٢].

الخامس: ذنوبكم[2].

وهذا القول غريب وبعيد، لا مستند له؛ لأن السياق في الحمل الحسي، ومعرض المنة بتسخير هذه الأنعام لحمل ما هو ثقيل، وفي ذلك حمل لدلالة اللفظ على معناه الأصلي الحقيقي، وهو المتبادر من معنى الآية، ولا مصرف لغيره إلا بدليل.

إذن يتبين أن إطلاق الأثقال على الذنوب هنا، تحميل للآية لمعنى لا تحتمله، ولا يعضده نقل عن السلف الصالح، فلا يعول عليه.

وما ذكر من التأويلات الأخرى لمعنى ﴿أَثْقَالَكُمْ﴾ مرادة هنا، وتدخل في دائرة اللفظ، والحمل على العموم أظهر، فيدخل كل ما يثقل الإنسان حمله من الأمتعة، والزاد، والبضائع، مع تسخيرها له بحمل بدنه أيضاً.

يقول السعدي (ت:١٣٧٦هـ): "﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾: من الأحمال الثقيلة، بل وتحملكم أنتم"[3].

الموضع الحادي عشر:

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

هذا هو الموطن الثالث للفظ: ﴿مِثْقَالَ﴾ في القرآن المجيد.

وفي قوله: ﴿مِثْقَالَ﴾ قراءتان:

القراءة الأولى: (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ) بالرفع.

قرأها المدنيان: أبو جعفر (ت:١٣٠هـ)، ونافع (ت:١٦٩هـ).

والوجه: أن ﴿كَانَ﴾ تامة، فتكون بمعنى حدث ووقع، أي: إن وقع مثقال حبةٍ، و﴿مِثْقَالُ﴾ فاعلٌ له.

---

(١) انظر: الهداية ٦/٣٩٥٢، والكشاف ٣/٤٢٥، والمحرر الوجيز ٣/٣٨٠، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن ١٢/٢٧٥، ومدارك التنزيل ٢/٢٨١، والتسهيل ٢/١٥٠، والبحر المحيط ٥/٤٦٢، وغرائب القرآن ٤/٢٤٥، وإرشاد العقل السليم ٥/٩٧، وروح المعاني ٤/٩٩.

(٢) رموز الكنوز ٤/٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٤٩٨، وانظر: المحرر الوجيز ٣/٣٨٠.

القراءة الثانية: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ بالنصب.

والوجه: أن ﴿كَانَ﴾ ناقصة، تحتاج إلى اسمٍ وخبرٍ، واسمها: مضمر يدل عليه ما قبله من قوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾، والتقدير: وإن كان الشيء أو الظُّلامةُ مثقال حبةٍ، وانتصب ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ على أنه خبر كان[1].

وقد ورد عن السدي (ت: ١٢٨هـ) أنه فسر ﴿مِثْقَالَ﴾ هنا: بال (وزن)، حيث قال: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾: "وزن حبةٍ"[2].

وكلمة المفسرين متطابقة على هذا المعنى، كما الموضع الأول سواء بسواء.

الموضع الثاني عشر:

قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢].

﴿ثَقُلَتْ﴾ هنا هي الموطن الثاني الوارد في الكتاب الحكيم.

وقد تواطأ تفسيرها عند المفسرين، كما في الموضع الثاني، بمعنى: رجعت، وكثرت، فلا مزيد على ما ذكروه.

الموضع الثالث والرابع والخامس عشر:

قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

ورد لفظ: (أثقالاً) مرة واحدة في القرآن العظيم، بينما لفظ: ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ ورد مرتين فقط.

وقد اتفقت كلمة أجلاء المفسرين[3]، وأرباب المعاني[1]، وأهل الوجوه والنظائر[2]، مع تنوع عباراتهم، وتعدد تعبيراتهم، أن المراد بالأثقال – الثلاثة – هنا: الأوزار، والذنوب، والآثام، والخطايا، والسيئات، وهذه الإطلاقات تصب في منحىً واحدٍ.

---

(١) انظر القراءتين في: معرفة قراءات أهل الأمصار ص ٤١٩، والمبسوط ص ٢٥٣، والتبصرة ص٢٦٣، والتلخيص ص ٣٣٢، والمستنير ٢/ ٣٠٠، والنشر ٢/ ٣٢٤.

وانظر توجيههما في: علل القراءات ٢/ ٤٠٧، والحجة لابن خالويه ص ٢٤٩، وإعراب القراءات السبع ٢/ ٦١، والحجة لأبي علي الفارسي ٣/ ١٥٨، والكشف ٢/ ١١١، والموضح ٢/ ٨٦٢.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ١٠/ ٣٠٠.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٢/ ٥١٣، وتفسير يحيى بن سلام ٢/ ٦٢٠، وجامع البيان ١٨/ ٣٦٩، ونكت القرآن ٣/ ٥٧٧، وتفسير السمرقندي ٢/ ٥٣٣، وتفسير القرآن العزيز ٣/ ٢٤٢، والكشف والبيان ٧/ ٢٧٣،

فعن قتادة (ت:١١٧هـ): "﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ ﴾ أي: أوزارهم، ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾. يقول: وأوزار من أضلُّوا"(٣).

وكان ابن زيد (ت:١٨٢هـ) يقرأ قوله: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل: ٢٥] ويقول: "فهذا قوله: ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾"(٤).

=والتعبير عن الخطايا بالأثقال، للإيذان بغاية ثقلها، وكونها فادحة+(٥).

وقد بين الحافظ ابن كثير (ت:٧٧٤هـ) أن قوله: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾: "إخبار عن الدعاة إلى الكفر والضلالة، أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم، وأوزاراً أُخَرَ بسبب ما أضلوا من الناس، من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئاً"(٦).

إذن فهذه الآية إقسام من العليّ الجليل بحمل أولئك لذنوبهم الثقيلة التي اقترفوها بأنفسهم، وكسب أيديهم، يضاف لها أوزار وآثام من أضلوهم وصرفوهم عن سبيل الله، فهم يحملون أوزارهم وذنوب من اتبعهم في ضلالهم وغوايتهم.

وهذه الآية لا تتعارض مع الآيات الدالة على أنه لا يحمل أحد وزر غيره، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء: ١٥]؛ لأن أولئك "الضالين ما حملوا إلا أوزار أنفسهم؛ لأنهم تحملوا وزر الضلال،

والوجيز ٢/٨٣٠، ومعالم التنزيل ٦/٢٣٥، والكشاف ٤/٥٤٠، والمحرر الوجيز ٤/٣٠٩، وزاد المسير ٦/١٢٤، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٣٤٣، والبحر المحيط ٧/١٤٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/٢٦٨٦، وروح المعاني ٢٠/١٤٠، وتيسير الكريم الرحمن ص ٧٣٧، والتحرير والتنوير ٢٠/٢٢١.

(١) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/٣١٤، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٣٧، ومعاني القرآن للزجاج ٤/١٦٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/٢١٦، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، وإيجاز البيان ٢/١٠٨، ونفس الصباح ٢/٥٦٧، وتذكرة الأريب ٢/٦٥، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٤، وبصائر ذوي التمييز ٢/٣٣٥.

(٢) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٨/٣٦٩، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٩/٣٠٤٠، رقم: (١٧١٨٧)، (١٧١٨٨)، (١٧١٨٩).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٨/٣٦٩.

(٥) روح المعاني ١٠/١٤٢.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٦٨٦.

ووزر الإضلال"[1]. فـ"من سنَّ في الإسلام سنة حسنةً، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئةً، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"[2].

الموضع السادس عشر:

قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان: ١٦].

هذا هو الموطن الثالث لورود لفظ: ﴿مِثۡقَالَ﴾ في النبإ العظيم.

وفي لفظ: ﴿مِثۡقَالَ﴾ هنا قراءتان:

القراءة الأولى: بالرفع في (مِثْقَالُ): (إن تَكُ مِثْقَالُ حَبَّةٍ).

قرأها أبو جعفر المدني (ت: ١٣٠هـ)، ونافع المدني (ت: ١٦٩هـ).

ووجه القراءة: أن قوله: (مِثْقَالُ) فاعل (تك)، وكان هي التامة التي لا تحتاج إلى خبرٍ، والمعنى: إن تقع مثقالُ حبةٍ.

والقراءة الثانية: بالنصب في ﴿مِثۡقَالَ﴾ : ﴿إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾وهي قراءة الجماعة.

والوجه: أن كان ههنا ناقصة، وهي المحتاجة إلى الخبر، واسمها مضمر، والتقدير: إن كانت المظلمةُ أو السيئة ﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾، وخبرها: ﴿مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾[3].

و ﴿مِثۡقَالَ﴾ على تأويل: زِنَةٍ أو وزنٍ، أو قدرٍ أو مقدارٍ، وعلى هذا كتب التفاسير اتفقت[1]، وبمثل معنى الموضع الأول اتجهت.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص ١٧٢، وانظر: عيون المسائل ص ٢٥٨، وباهر البرهان ٢/ ١٠٩٥، وتفسير القرآن للسخاوي ٢/ ١٦٢، وأنموذج جليل ص ٣٩٠، وأضواء البيان ٣/ ١٩٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث جرير بن عبدالله البجلي ﷺ، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، ٢/ ٧٠٥، رقم: (١٠١٧).

قال شارح الحديث النووي: =فيه الحث على الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسنات، والتحذير من اختراع الأباطيل، والمستقبحات= المنهاج ٧/ ١٠٦.

(٣) انظر: القراءتين في: معرفة قراءات أهل الأمصار ص ٥١٣، والمبسوط ص ٢٥٣، والتذكرة ٢/ ٣٣٠، والمستنير ٢/ ٣٠٠، والنشر ٢/ ٣٢٤.

وانظر توجيههما في: معاني القراءات للأزهري ص ٣٠، والحجة للفارسي ٣/ ٢٧٤، وحجة القراءات ص ٥٦٥، وشرح الهداية ص ٦١٣، والموضح ٢/ ١٠١٤.

وهنا قال: ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾؛ لأن الخطاب خاص بابن لقمان، فناسب ذكر الحبةِ التي هي أظهر وأجلى، وأخص من الذر.

الموضع السابع عشر:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

لفظ: ﴿مِثْقَالُ﴾ هنا، هو الموطن الخامس في الحق المبين.

وهو بمعنى الموضع الأول المتقدم المفسَّر بالوزن والمقدار، وبهذا جاءت عبارات علماء أهل التفسير من الأوائل والأواخر(٢).

الموضع الثامن عشر:

قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

الموضع الخامس لـ﴿مِثْقَالُ﴾ ورد هنا في السياق القرآني.

وهو بمعنى: الوزن، أو المقدار، كما تقدم في الموضع الأول، وبه انطلقت نصوص المفسرين، وتتابع تأويلهم(٣).

الموضع التاسع عشر:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨].

وردت كلمة: ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ مرة واحدة في البرهان المبين.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/٢١، وتفسير يحيى بن سلام ٢/٦٧٥، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٣٦، وتفسير السمرقندي ٣/٢٢، والمحرر الوجيز ٤/٣٥٠، والجامع لأحكام القرآن ١٦/٤٧٧، والتسهيل ٣/١٢٧، والبحر المحيط ٧/١٨٢، وروح المعاني ٢١/٨٨، والتحرير والتنوير ٢١/١٦٣.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٣/٥٨، وتفسير يحيى بن سلَّام ٢/٧٤٥، وجامع البيان ١٩/٢١١، وتفسير السمرقندي ٣/٦٥، والكشف والبيان ٨/٧٠، ومعالم التنزيل ٦/٣٨٦، والمحرر الوجيز ٤/٤٥، والجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٥٥، ولباب التأويل ٣/٤٤١، وإرشاد العقل السليم ٧/١٢١، وروح المعاني ٢٢/١٠٦، وأضواء البيان ٦/٤٠٢.

(٣) انظر: تفسير مقاتل ٣/٦٤، وتفسير يحيى بن سلَّام ٢/٧٥٧، وتفسير كتاب الله العزيز ٣/٣٩٧، وجامع البيان ١٩/٢٧٢، والهداية ٩/٥٩٢٠، وروح المعاني ٢٢/١٣٦، والتحرير والتنوير ٢٢/١٨٦.

ولم تختلف كلمة المفسرين[1]، وعلماء المعاني[2]، أن التي أثقلها حمل الذنوب، والأوزار، والآثام، هي معنى ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ هنا.

وهو قول مجاهد[3] (ت: ١٠٤هـ)، وقتادة[4] (ت: ١١٧هـ)، وعطاء الخراساني[5] (ت: ١٣٥هـ).

يقول الديريني (ت: ٦٩٧هـ):

مُثْقَلَـــةٌ: أي ذَاتَ ذَنْـــبٍ يكْبُـــرَ تَقْـــدِيرُهُ إنْ تَـــدْعُ نَفْـــسٌ يُـــضْمَرُ[6]

والآية إخبار من الله تعالى بكون كل نفسٍ مرهونة بما كسبت، فلا تحمل النفس المذنبة ذنب نفسٍ أُخرى؛ بل تؤاخذ على فعلها وجرمها الذي اقترفته، أو تسببت فيه، وإن سألت نفس قد أناءت بها الذنوب والأوزار، من يحمل عنها تلك الخطايا والآثام، لم تجد من يتولى حملها وقبولها، ولو كان من أهل النِّسبَة والقرابة، فالكل في موقفٍ مهولٍ، وعن حمل الذنوب نفور.

يقول الطبري (ت: ٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره: وإن تسأل ذاتُ ثِقْلٍ من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك، لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها، ولو كان الذي سألَتْه ذلك ذا قرابةٍ له من أبٍ أو ابنٍ أو أخٍ"[7].

الموضع المتم العشرين:

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [الطور: ٤٠].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٧٥، وجامع البيان ١٩/ ٣٥٣، وتفسير السمرقندي ٣/ ٨٤، وتفسير القرآن العزيز ٤/ ٢٨، والكشف والبيان ٨/ ١٠٤، والهداية ٩/ ٥٩٦٧، والوجيز ٢/ ٨٩١، وتفسير القرآن للسمعاني ٣/ ٣٥٣، ومعالم التنزيل ٦/ ٤١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥، وزاد المسير ٦/ ٢٥١، ورموز الكنوز ٦/ ٢٨٢، والجامع لأحكام القرآن ١٧/ ٣٦٧، ولباب التأويل ٣/ ٤٥٥، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٢٩١١، واللباب ٦/ ١٢١، وإرشاد العقل السليم ٧/ ١٤٩، وتيسير الكريم الرحمن ص ٨٠٨.

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٨، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٠، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٦٧، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٩، والغريبين ١/ ٢٨٨، ونفس الصباح ٢/ ٥٩٦، وتذكرة الأريب ٢/ ٩٩، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، وبهجة الأريب ص ١٧٣، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٢٤، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٣١٩.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٩/ ٣٥٤، وزاد نسبته في الدر المنثور ١٢/ ٢٧٢ لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم. وانظر: تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٧٨٣، والنكت والعيون ٤/ ٤٦٨.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٩/ ٣٥٤، وزاد نسبته في الدر المنثور ١٢/ ٢٧٣ لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم. كما في الدر المنثور ١٢/ ٢٧١.

(٦) التيسير في التفسير ١/ ٢١١.

(٧) جامع البيان ١٩/ ٣٥٣.

ورد لفظ: ﴿مُّثۡقَلُونَ﴾ مرتين في كتاب الله الكريم، وههنا أول مواطن الورود.

والمثقل: أصله المحمَّل بشيء ثقيل، ومن أثقله الحمل: أتعبه. يقال: لحق فلاناً دين فادح، أو دين ثقيل، فهو مثقل[1].

و﴿مُّثۡقَلُونَ﴾ هنا، أي: مجهودون، أو متعبون، أو مغتمون، أو مشقوق عليهم، أو محملون ما يرهقهم، وبنحو هذه المعاني المتشاكهة سطَّر أهل التأويل في الضبائر[2].

قال قتادة: (ت: ١٧هـ): "﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾. يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجراً جهِدهم، فلا يستطيعون الإسلام؟"[3].

والآية مسوقة ضمن منظومة آياتٍ للرد على الكافرين، وتوبيخ المفترين، فجاءت هذه الآية لتأكيد صدق نبوة المصطفى ﷺ، وبعثه بالرسالة الحقة.

فالنبي ﷺ لم يطلب منهم عوضاً مادياً على تبليغ الرسالة، وأداء الأمانة؛ حتى يكونوا في حالةٍ من الجهد والمشقة، من التزام غرامةٍ لا تجب عليهم، قد طوقتهم وأسرتهم؛ فاستثقلوا إجابته، والإذعان لدعوته؛ بل ليس الأمر كذلك، فالشفيق ﷺ هو الحريص على دعوتهم وتعليمهم وإيمانهم، فلم يطلب أجراً قط، ولم يسألهم أموالهم؛ بل بذل المال الكثير لاستمالتهم لنداء الحق، وائتلف قلوبهم بجزيل المكرمات، حتى يدخلوا في دين الله أفراداً وجماعاتٍ.

يقول ابن عبدالسلام (ت: ٦٦٠هـ): "وأما قوله تعالى: ﴿فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ فمعناه: فَهُمْ من دينٍ التزمون مشقوق عليهم، فاستعار الثقل للمشقة الشديدة؛ لأن حمل الأثقال شاق، فشبه مشقة حمل الديون بمشقة حمل الأثقال"[4].

الموضع الحادي والعشرون:

قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

ورد لفظ: ﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾ مرة واحدة في تنزيل رب العالمين.

وقد أطبقت كلمة المفسرين[1]، واللغويين من كتبة معاني القرآن وغريبه[2]، ومدوني الوجوه والنظائر[3]، على أن ﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾ يراد بهما: الإنس والجن.

---

(١) انظر: تفسير القرآن للسمعاني ٥/ ٢٧٩، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣١٧، والتحرير والتنوير ٢٧/ ٧٥.

(٢) انظر: جامع البيان ٢١/ ٥٩٩، والكشف والبيان ٩/ ١٣٢، والوجيز ٢/ ١٠٣٦، ومجاز القرآن ص ٣١٠، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/ ٣٣٢١، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣١٧، وروح المعاني ٢٧/ ٣٨، والتحرير والتنوير ٢٧/ ٧٥.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢١/ ٥٩٩، وانظر: الهداية ١١/ ٧١٣٣.

(٤) مجاز القرآن ص ٣١٠.

و﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾: تثنية (ثَقَل)، وهو اسم مفرد لمجموع الإنس والجن[٤]، لذا قال في الآية: ﴿لَكُمْ﴾؛ لأن الثقلين، وإن كان بلفظ التثنية فمعناه الجمع[٥].

يقول ابن عاشور: (ت:١٣٩٣هـ): "وأظن أن هذا اللفظ لم يطلق على مجموع النوعين قبل القرآن، فهو من أعلام الأجناس بالغلبة"[٦].

وقد اختلف في سبب تسمية الإنس والجن بالثقلين، على وجوهٍ متعددةٍ:

الأول: لعظم قدرهما، وفخامة شأنهما، فقد فضلا بالتكليف، وخُصَّا بالتمييز والعقل، عن سائر الحيوان المخلوق في الأرض[٧].

الثاني: لثقلهما على الأرض، قاله محمد بن القاسم الأنباري[٨] (ت:٣٢٨هـ).

الثالث: لثقلهما بالذنوب، قاله الحسن البصري[٩] (ت:١١٠هـ)، وجعفر الصادق[١] (ت:١٤٨هـ).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/٣٠٦، وتفسير كتاب الله العزيز ٤/٢٦٥، وجامع البيان ٧/٤٤٧، وتفسير السمرقندي ٣/٣٠٧، والكشف والبيان ٩/٨٦، والنكت والعيون ٥/٤٣٤، والوجيز ٢/١٠٥٤، ومعالم التنزيل ٧/٧٧٤، والكشاف ٦/١٣، والمحرر الوجيز ٥/٢٣٠، وزاد المسير ٧/٢٦٢، وتفسير القرآن للسخاوي ٢/٤١٧، والتفسير الكبير ١٠/٣٦١، ورموز الكنوز ٩/٥٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٨، ولباب التأويل ٤/٢٢٨، والبحر المحيط ٨/١٩٢، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧/٣٣٧٠، وغرائب القرآن ٦/٢٢٩، وتبصير الرحمن ٢/٣١٣، والجواهر الحسان ٣/٢٧٤، وإرشاد العقل السليم ٨/١٨١، وروح المعاني ٢٧/١١٢، والتحرير والتنوير ٢٧/٢٥٧.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/٩٩، وياقوتة الصراط ص ٤٩٧، والغريبين ١/٢٨٩، وإيجاز البيان ٢/٢٣٠، ونفس الصباح ٢/٦٨٧، وتذكرة الأريب ٢/١٩٦، والتيسير في التفسير ١/٢٥٨، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، وغرر البيان ص ٤٩٨، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٥، وبهجة الأريب ص ٢٠٦، وتفسير غرائب القرآن لابن الملقن ص ٤٣٣، والتبيان ص ٤٠١، وبصائر ذوي التمييز ٢/٣٣٥.

(٣) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٤، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٧.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢٧/٢٥٧.

(٥) انظر: المحكم ٦/٣٥٥.

(٦) التحرير والتنوير ٢٧/٢٥٧.

(٧) انظر: تهذيب اللغة ٩/٧٨ (ثقل)، والغريبين ١/٢٨٩، والكشف والبيان ٩/١٨٦، ومعالم التنزيل ٧/٤٤٧، وإيجاز البيان ٢٣٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٨، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٥.

(٨) انظر: تهذيب اللغة ٩/٧٩، وبلا نسبةٍ في النكت والعيون ٥/٤٣٤، ومعالم التنزيل ٧/٤٤٧، والكشاف ٦/١٣، وزاد المسير ٧/٢٦٢، والتفسير الكبير ١٠/٣٦١، ورموز الكنوز ٩/٥٦٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٣٨، والبحر المحيط ٨/١٩٢، وعمدة الحفاظ ١/٣٢٥.

(٩) انظر: روح المعاني ٢٧/١١٢.

الرابع: لكثرتهم[٢].

الخامس: لرزانة آرائهما[٣].

الموضع الثاني والعشرون:

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ [القلم: ٤٦].

الموطن الثاني لمفردة: ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ ورد في هذه السورة الكريمة.

وهي بمثل معنى الموضع المتمم العشرين، بما يغني عن إعادته هنا.

الموضع الثالث والعشرون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

ورد لفظ: ﴿ثَقِيلًا﴾ مرتين في بلاغ رب العالمين، وهنا أول مواطن ورودها.

وفي الآية تنويه بشأن القرآن الكريم، البالغ ذروة المجد، وعلو الشرف، إذ سيلقى ويوحى لنبينا محمد ﷺ كلاماً عظيماً، جليل القدر.

وفي معنى ﴿ثَقِيلًا﴾ – الموصوف به القرآن – تأويلات متعددة:

الأول: شدته على النبي ﷺ عند تلقيه، ووحيه إليه[٤]، وهو قول عائشة[١] (ت: ٥٨هـ) – رضي الله عنها –.

---

(١) انظر: الكشف والبيان ٩/ ١٨٦، ومعالم التنزيل ٧/ ٤٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٣٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ١٣٨، وبلا نسبة في تفسير القرآن للسخاوي ٢/ ٤١٧، والدر المصون ١٠/ ١٧٠.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز ٢/ ٣٣٥.

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم ٨/ ١٨١، وروح المعاني ٢٧/ ١١٢.

(٤) انظر: جامع البيان ٢٣/ ٣٦٥، وصوب الطبري القول به، وتهذيب اللغة ٩/ ٧٩ (ثقل) وهو اختيار الأزهري، وتفسير السمرقندي ٣/ ٤١٦، ومختصر قيام الليل ص ٣١، والكشف والبيان ١٠/ ٦٠، والهداية ١٢/ ٧٧٨٩، والنكت والعيون ٦/ ١٢٦، ومعالم التنزيل ٨/ ٢٥٢، والكشاف ٦/ ٤٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٣٢٨، وهو اختياره، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، وباهر البرهان ٣/ ١٥٧٠، وزاد المسير ٨/ ١١٣، والتفسير الكبير ١٠/ ٦٨٤، وتفسير القرآن للسخاوي ٢/ ٥٢٨، ورموز الكنوز ٨/ ٣٢٩، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٣٢٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٥٤، وبهجة الأريب ص ٢٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٣٦٤٤، وروح المعاني ٢٩/ ١٠٤.

وقد استبعد عبدالرحمن الميداني هذا التأويل، حيث قال: "وأما حمل ثِقله على ثقل تنزيله على جسد الرسول عند نزول الوحي به، فهذا الثِّقلُ هو من أثر الوحي، لا من أثر ثِقَل آيات القرآن، وهو مستبعد أيضاً" معارج التفكر ١/ ١٦٢.

فعن عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – أن الحارث بن هشام ﷺ سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: **"أحياناً يأتيني مثل صلصلة[٢] الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصِمُ[٣] عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول"**.

قالت عائشة – رضي الله عنها –: "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصِمُ عنه وإن جبينه ليتَفَصَّدُ[٤] عَرَقاً"[٥].

وعن زيد بن ثابتٍ ﷺ: "أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿**لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ [النساء: ٩٥] قال: فجاءه ابن أم مكتومٍ وهو يُمِلُّهَا عليَّ، فقال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدتُ، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله تبارك

ولا وجه عندي لهذا الاستبعاد، فهذا التأويل قال به أجلاء من العلماء، فالثقل وإن كان ناتج أثر الوحي، فهو مرتبط بالأصل الذي بسببه حصل ذلك الثقل، فلا يقطع عنه النظر، وما ثقل نزوله ثقل تلقيه، وذلك دلالة عظمة وفخامة وثقل ذلك المنزل، لذا كان يلحق النبي ﷺ شدة ومشقة حين تلقي التنزيل.

يدل على ذلك حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: "كان النبي ﷺ إذا نزل عليه وجد ما قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**﴾ [المزمل: ٥].

أخرجه أبو يعلى في مسنده ٨/ ٢١٣، رقم: (٤٧٧٨) وحسن إسناده محققه حسين سليم أحمد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٩٨، برقم: (١١٤٤٥): =رواه أبو يعلى، وإسناده جيد".

كما يستأنس بما ورد عن أسماء بنت يزيد، قالت: "نزلت الأنعام على النبي ﷺ جملة واحدة، وأنا آخذة بزمام ناقة النبي ﷺ، إن كانت من ثِقَلها لتكسر عظم الناقة".

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ١٧٨، رقم: (٤٤٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٥٩، رقم: (١٠٩٩٣): "رواه الطبراني، وفيه شهر بن حَوْشب، وهو ضعيف، وقد وثق، وانظر: موسوعة فضائل سور وآيات القرآن – القسم الصحيح – للطرهوني ١/ ٢٥٨.

(١) انظر: النكت والعيون ٦/ ١٢٦، وزاد المسير ٨/ ١١٣.

(٢) صلصلة: صوت الحديد إذا حُرِّك، ثم أطلق على كل صوتٍ له طنين. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٦، وفتح الباري ١/ ٢٧.

(٣) فيفصِمُ: أي: يقلع، وأصل الفصم: القطع بلا إبانة. انظر: الغريبين ٤/ ٤٥٣، وفتح الباري ١/ ٢٨.

(٤) ليتفصَّدُ: أي: يسيل، والفصد: قطع العِرق لإسالة الدم، شبه جبينه بالعِرق المفصود؛ مبالغة في كثرة عرقه. انظر: النهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٥٠، وفتح الباري ١/ ٢٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ٤، رقم: (٢)، واللفظ له، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب عرق النبي ﷺ في البرد، وحين يأتيه الوحي، ٤/ ١٨١٦، رقم: (٢٣٣٣).

وتعالى على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، فَثَقُلَتْ عليَّ حتى خفت أن تُرَض فخذي، ثم سُرِّيَ عنه، فأنزل الله ﷻ: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾"[1].

الثاني: عظيم القدر[2]، وكل شيءٍ نفس وعظم خطره، فهو ثَقَل وثَقيل وثاقِل[3].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد، باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥-٩٦]، ٣/١٠٤٢، رقم: (٢٦٧٧).

(٢) انظر: قاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٧، والتفسير الكبير ٦٨٣/١٠.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٧٩/٩ (ثقل)، والتفسير الكبير ٦٨٣/١٠.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "ألا وإني تارك فيكم ثقلين[1]: أحدهما: كتابُ الله ﷻ، هو حبل الله[2]، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة"[3].

الثالث: شاقّاً في تكاليفه، والعمل به في فرائضه وحدوده[4]، قاله الحسن[5] (ت: ١١٠هـ)، وقتادة[6] (ت: ١١٧هـ).

---

(١) قال العلماء: سميا ثقلين:
لعظمهما وكبير شأنهما.
وقيل: لثقل العمل بهما.
والعرب تقول لكل شيء خطير: نفيس ثقيل، فجعلهما ثقلين: إعظاماً لقدرهما، وتفخيماً لشأنهما.
انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٧٨ (ثقل)، وإكمال المعلم ٧/ ٤١٩، والمنهاج ١٥/ ١٧٥.

(٢) قيل المراد بحبل الله: عهده الذي يعتصم به. وقيل: السبب الموصل إلى طاعته ورضاه ورحمته. وقيل: نوره الذي يهدي به. انظر: إكمال المعلم ٣/ ٤٢٠، والمنهاج ١٥/ ١٧٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم. كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ. ٤/ ١٨٧٤، رقم: (٢٤٠٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٤٠٩، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٣، وتفسير كتاب الله العزيز ٤/ ٤٢٩، وجامع البيان ٢٣/ ٣٦٤، وقد صوبه الطبري، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٠، وتهذيب اللغة ٩/ ٧٩ (ثقل)، وتفسير السمرقندي ٣/ ٤١٦، وتفسير المشكل ص ١١٤، والكشاف ٦/ ٢٤٢، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٣٢٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، وتذكرة الأريب ص ٢٥١، والتفسير الكبير ١٠/ ٦٨٤، ومجاز القرآن لابن عبدالسلام ص ٣٠١، ورموز الكنوز ٨/ ٣٣١، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والترجمان ص ٣٧٨، وبهجة الأريب ص ٢٢٤، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٢٤، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٥٠٤.
ولابن العربي في أحكام القرآن ٤/ ٣٢٨ إيراد على هذا القول، بقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].
كما استبعده عبدالرحمن الميداني في معارج التفكر ١/ ١٦٢، بقوله: «أما حمل ثقله على ثقل العمل به فمستبعد؛ لأن الله ما جعل على المسلمين في هذا الدين من حرج».
وفي نظري أن هذا القول ليس بمستبعدٍ ولا منكورٍ، وحسبك أن قال به جلة من السلف، وأفاضل من العلماء، وهو قول معتبر صوبه إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري، حيث يقول: «وأولى الأقوال بالصواب في ذلك عندنا أن يقال: إن الله جل جلاله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه» جامع البيان ٢٣/ ٣٦٦.
إذن فهو ثقيل من الوجهين معاً، كما هو ظاهر اختيار ابن جرير الطبري.
وهذا التأويل المذكور ليس المقصود منه معنى الثقيل الذي يستثقله الخلق، ويتبرمون منه، وينزعجون من القيام به، لكنه ثقيل لما فيه من التكاليف الشاقة، من جهة حملها وتحميلها للمدعوين؛ لأنها تضاد الطبع، وتخالف النفس.
وقد تقدمت الإشارة لثقل العمل بالكتاب العزيز في أحد تفسيرات شُرَّاح الحديث لمعنى الثقلين.
انظر: تهذيب اللغة ٩/ ٧٨ (ثقل)، والتفسير الكبير ١٠/ ٦٨٣، ونظم الدرر ٨/ ٢٠٦.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٣/ ٣٦٥، والواحدي في الوسيط ٤/ ٤٧٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٥/ ٤٤ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن نصر – يعني: محمد المروزي –، وانظر: مختصر قيام الليل لمحمد بن نصر المروزي ص ٣١، والكشف والبيان ١٠/ ٦٠، والنكت والعيون ٦/ ١٢٦، وتفسير القرآن للسمعاني ٦/ ٧٨، وقاموس القرآن ص ٩٣.

(٦) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٢٤، والطبري في جامع البيان ٢٣/ ٣٦٥، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور ١٥/ ٤٤ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن نصر، وانظر: مختصر قيام الليل ص ٣١، وتفسير القرآن العزيز ٥/ ٤٩، والكشف والبيان ١٠/ ٦٠، والنكت والعيون ٦/ ١٢٦، وتفسير القرآن للسمعاني ٦/ ٧٨.

الرابع: رصيناً في ألفاظه ومبانيه، وصحة معانيه، فله وزن في صحته وبيانه ونفعه. كما تقول: هذا كلام رصين، وهذا قول رزين، إذا كنت تستجيده، وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيان[1].

الخامس: نفيساً لا نظير له ليس بالخفيف ولا السَّفساف[2]، لأنه كلام ربنا تبارك وتعالى[3].

السادس: شديداً، قاله ابن عباسٍ[4] (ت: ٦٨هـ) – رضي الله عنهما –.

السابع: شاقاً حلاله وحرامه، قاله مجاهد[5] (ت: ١٠٤هـ).

الثامن: في الميزان يوم القيامة ثقيل[6]، قاله الحسن البصري[7] (ت: ١١٠هـ) في إحدى الروايتين، وابن زيدٍ[8] (ت: ١٨٢هـ)، وهو إشارة لكثرة ثواب قارئه، والعامل به[9].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٤٠، ورموز الكنوز ٨/ ٣٣١.

قال ابن عطية: "وقال حذاق العلماء: معناه: ثقيل المعاني من الأمر بالطاعات، والتكاليف الشرعية من الجهاد، ومزاولة الأعمال الصالحة الدائمة".

وقال السعدي في تفسيرها: "أي: العظيمة معانيه، الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، حقيق أن يُتهيأ له، ويُرتل، ويُتفكر فيما يشتمل عليه". تيسير الكريم الرحمن ص ١٠٥٨.

واستظهر عبدالرحمن الميداني "أن المراد من ثقل القول القرآني: أنه ذو معاني وفيرة غزيرة، وهذه المعاني الثَّرَّة لا يُستطاع تفهمها من قِبَل الناس إلا بالقراءة المرتلة التي فيها أناة، وتمهُّل، وتفكُّر، وتدبُّر+ معارج التفكر ١/ ١٦١.

(٢) السَّفساف: أصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نُخِلَ، والتراب إذا أُثير، والسَّفساف: الأمر الحقير الرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وكل عملٍ لم يحكمه عامله فقد سفسفه. انظر: أساس البلاغة ١/ ٤٥٨، والفائق في غريب الحديث ٢/ ١٤٧، ولسان العرب ٩/ ١٥٥ (سفف).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٩٧، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٣، والكشف والبيان ١٠/ ٦٠، وتفسير القرآن للسمعاني ٦/ ٧٨، ومعالم التنزيل ٨/ ٢٥٢، والكشاف ٦/ ٢٤٣، وتفسير القرآن للسخاوي ٢/ ٥٢٨، ومجاز القرآن لابن عبدالسلام ص ٣١٠، وبهجة الأريب ص ٢٢٤.

(٤) انظره في: الكشف والبيان ١٠/ ٦٠، وبلا نسبةٍ في: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣.

(٥) انظره في: قاموس القرآن ص ٩٣، والجامع لأحكام القرآن ٢١/ ٣٢٤، وبلا نسبة في وجوه القرآن ص ٨٩.

(٦) انظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٤١٦، ووجوه القرآن ص ٨٩، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ٣٢٨، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٦، والترجمان ص ٣٧٨، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٥٠٤.

(٧) انظر: مختصر قيام الليل ص ٣١، والوسيط ٤/ ٤٧٣، وتفسير القرآن للسمعاني ٦/ ٧٨، والكشاف ٦/ ٢٤٣، والتفسير الكبير ١٠/ ٦٨٤.

(٨) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٣/ ٣٦٦، وانظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦٠، والنكت والعيون ٦/ ١٢٦.

(٩) انظر: التفسير الكبير ١٠/ ٦٨٤، وروح المعاني ٢٩/ ١٠٤.

التاسع: شديد الوعد والوعيد، والحلال والحرام، قاله أبو العالية[1] (ت: ٩٠هـ).

العاشر: شديداً وشاقّاً على المنافقين، قاله محمد بن كعب[2] (ت: ١٢٠هـ).

ووجه شدته على المنافقين: أنه يهتك أسرارهم، ويبطل أقوالهم، وفيه وعيدهم[3].

الحادي عشر: شديداً وشاقّاً على الكفار[4].

ووجه شدته على الكفار: إعجازه، وما فيه من الاحتجاج عليهم، وبيان ضلالهم، وتزييف معبوداتهم، وكشفه عما حرَّفه أهل الكتاب[5].

الثاني عشر: مهيباً، قاله عبدالعزيز بن يحيى[6].

الثالث عشر: كريماً، مأخوذ من قولهم: فلان ثقيل عليَّ، أي: كريم عليَّ، قاله السدي[7] (ت: ١٢٨هـ).

الرابع عشر: ثابت الإعجاز، لا يزول أبداً، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ومن شأن الثقيل أن يبقى في مكانه ولا يزول، فالثقيل بمعنى: الثابت، لثبوت الثقيل في محله[8].

وقد أودع ابن المنير (ت: ٦٨٣هـ) بعض هذه المعاني في نظمه، إذ يقول:

"قولاً ثقيلاً" ثِقَل الفرائضِ ... غير مُرخِّص لرفْض الرافض

وقيل معناه: الرصين والوافْ ... وليس من جنس الخفيف السَّفْساف[9]

---

(١) انظره في: الكشف والبيان ١٠/٦٠، ومعالم التنزيل ٨/٢٥٢، والجامع لأحكام القرآن ٢١/٣٢٤، وبلا نسبة في وجوه القرآن ص ٨٩.

(٢) انظر: الكشف والبيان ١٠/٦٠، ومعالم التنزيل ٨/٢٥٢، وتفسير القرآن للسمعاني ٢/٥٢٨، والجامع لأحكام القرآن ٢١/٣٢٤.

(٣) انظر: المحرر الوجيز ٥/٣٨٧، والتفسير الكبير ١٠/٦٨٢.

(٤) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، والجامع لأحكام القرآن ٢١/٣٢٤.

(٥) انظر: المحرر الوجيز ٥/٣٨٧، والجامع لأحكام القرآن ٢١/٣٢٤.

(٦) انظره في: الكشف والبيان ١٠/٦٠، وزاد المسير ٨/١١٤، ورموز الكنوز ٨/٣٣١، وبلا نسبةٍ في: تذكرة الأريب ٢/٢٥١.

(٧) انظر: النكت والعيون ٦/١٢٧، والجامع لأحكام القرآن ٢١/٣٢٤.

(٨) انظر: النكت والعيون ٦/١٢٧، والتفسير الكبير ١٠/٦٨٤، والجامع لأحكام القرآن ٢١/٣٢٤.

(٩) التيسير العجيب ص ٢٠٤.

وكذا صنع الديريني (ت:٦٩٧هـ) حيث قال:

إنَّـــا سَـــنُلْقِي: أيْ سَـــنُوحي قَـــوْلا ... يثقـــلُ فـــي الميـــزانِ فـــارِعَ الطَّـــوْلاَ

وَقِيْـــلَ: أيْ يثقـــلَ حـــينَ يَنـــزلَ ... عَلَيْـــكَ مِـــنْ هَيْبَـــة مـــنْ يَنَـــزّلَ

وقِيْـلَ: بَـل يَعنـي بـه ثِقَـلَ العمـلْ ... علـى النُّفـوسِ والـسَّعيدُ مَـنْ حَمَـل[1]

وبعد هذا التطواف في تعداد معاني ﴿ثَقِيلًا﴾، يستبين للناظر فيها، تآلف تلك الأقوال، وعدم تنافرها، أو تعارضها.

فـ﴿ثَقِيلًا﴾ هنا: جماع وجوهٍ، وحمال دلالاتٍ، يتسع لكل هذه التأويلات المذكورات، والتي هي من قبيل اختلاف التمثيل، أو التفسير بالمثال، ولا تعدو أن تكون نظراتٍ تفسيرية من جهاتٍ مختلفةٍ.

وعليه: تيك المعاني مطواعة للفظ، فلا يمنع من إرادتها جميعاً، ويبقى لفظ النظم الجليل على عمومه وشموله.

وقد حمل البقاعي (ت:٨٨٥هـ) معنى﴿ثَقِيلًا﴾ على العموم[2]، وهو كما قال، وأخلقه بالاعتبار.

الموضوع الرابع والعشرون:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧].

هذا هو الموطن الثاني للفظ: ﴿ثَقِيلًا﴾ في القرآن الكريم.

والآية من وادي الاحتباك[3]: حيث "ذكر الحب والعاجلة أولاً دلالة على ضدهما ثانياً، والترك والثقل ثانياً دلالة على ضدهما أولاً، وسر ذلك: أن ما ذكره أدل على سخافة العقل بعدم التأمل للعواقب"[4].

---

(١) التيسير في التفسير ص ٢٩١.

(٢) انظر: نظم الدرر ٨/ ٢٠٦.

(٣) أسماه الزركشي: (الحذف المقابلي): وهو "أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحدٍ منهما مقابلة، لدلالة الآخر عليه" البرهان ٣/ ١٢٩، وانظر: الإتقان ٥/ ١٦٢٣.

وأطلق عليه الجرجاني اسم: (الاحتباك)، وعرّفه بمثل ما ذكر الزركشي. انظر: التعريفات ص ٦٧.

وقال البقاعي معرّفاً له: "أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازاً، يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر، وبعبارةٍ أُخرى: هو أن يحذف من كل جملةٍ شيء إيجازاً، ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه" نظم الدرر ٢/ ٣١.

(٤) نظم الدرر ٨/ ٢٧٧.

وقد حملت الآية التوبيخ والتقريع لأولئك الكافرين الذين اتبعوا خطوات الشيطان، وآثروا الحياة الدنيا الزائلة، وزينتها الفانية، ولم يعدوا العدة لجلال حدث يومٍ مهولٍ، تخشع له الأصوات، وتشخص فيه الأبصار، وتفزع منه النفوس!

إن هؤلاء الضالين المضلين، والكفرة المتمردين، ينبذون وراءهم غير عابئين ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ألا وهو يوم القيامة، وقد وصف بأنه ثقيل.

ومعنى ﴿ثَقِيلًا﴾: أي: عسيراً، وشديداً، وصعباً، وعظيماً.

وبهذا اتجهت أقوال علماء التفسير[1]، وأهل الوجوه والنظائر[2].

فهو يوم شديد في أهواله و أوجاله، صعب في كروبه وخطوبه، عظيم في قدره وشأنه، عسير عند فصله وقضائه.

الموضع الخامس والعشرون:

قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢].

لم ترد ﴿أَثْقَالَهَا﴾ إلا مرة واحدة في الذكر العظيم.

و الأثقال: جمع (ثِقْل)، أو (ثَقَل)، والثَّقَل بمعنى الثِّقْل، وجمعهما أثقال. ومجراهما مجرى قول العرب: مِثْل ومَثَل، وشِبه وشَبه[3].

وقد اختلف في المراد بقوله: ﴿أَثْقَالَهَا﴾ على ثلاثة أقوال:

---

(١) انظر: تفسير كتاب الله العزيز ٤/٤٥٢، وتفسير القرآن العزيز ٥/٧٥، والنكت والعيون ٦/١٧٣، والوجيز ٢/١١٦٠، وتفسير القرآن للسمعاني ٦/١٢٣، ومعالم التنزيل ٨/٢٩٩، والكشاف ٦/٢٨٤، وزاد المسير ٨/١٥١، والتفسير الكبير ١٠/٧٦٠، وتفسر القرآن للسخاوي ٢/٥٥٣، والجامع لأحكام القرآن ٢١/٤٨٩، وأنوار التنزيل ٢/٥٥٤، والتسهيل ٤/١٧٠، وغرائب القرآن ٦/٤١٨، ونظم الدرر ٨/٢٧٧، وروح المعاني ٢٩/١٦٦، والتحرير والتنوير ٢٤/٤٠٨.

(٢) انظر: وجوه القرآن ص ٨٩، وقاموس القرآن ص ٩٣، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦.

(٣) انظر: تهذيب اللغة ٩/٧٩ (ثقل).

الأول: ما فيها من موتى[1]، قاله ابن عباس[2] (ت: ٦٨هـ)، وسعيد بن جبير[3] (ت: ٩٥هـ)، ومجاهد[4] (ت: ١٠٤هـ).

الثاني: كنوزها[5]، قاله ابن عباس[6] (ت: ٦٨هـ)، وعطية العَوْفي[7] (ت: ١١١هـ).

ومن أشراط الساعة: استفاضة المال، وإخراج الأرض لكنوزها، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "**تقيء الأرضُ[8] أفلاذ كَبِدها[9]، أمثالَ الأسْطُوَانِ[10] من الذهب والفضة...**"[11].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل ٣/ ٥٠٦، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٣، ومجاز القرآن ٢/ ٣٠٦، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٥، وتفسير كتاب الله العزيز ٤/ ٥٢٥، وجامع البيان ٢٤/ ٥٥٨، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥١، ونزهة القلوب ص ١١١، وتفسير السمرقندي ٣/ ٥٠٠، وتفسير القرآن العزيز ٥/ ١٥٣، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، والكشف والبيان ١٠/ ٢٦٤، والهداية ١٣/ ٨٣٩٠، والوجيز ٢/ ١٢٢٣، وقاموس القرآن ص ٩٣، ومعالم التنزيل ٨/ ٥٠١، والكشاف ٦/ ٤١٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥١٠، ونفس الصباح ٢/ ٧٩١، وزاد المسير ٨/ ٢٩٢، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦، والتفسير الكبير ١١/ ٢٥٤، وتفسير القرآن للسخاوي ٢/ ٦٢٤، ورموز الكنوز ٨/ ٧٠٢، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٢/ ٤١٦، والتيسير العجيب ص ٢٢٩، والتيسير في التفسير ص ٣٣٦، والبحر المحيط ٨/ ٤٩٦، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٣٨٣٤، وغرر التبيان ص ٥٤٦، والترجمان ص ٤٣٥، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٢٤، وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٥٧٩، والتبيان ص ٤٧١، ونظم الدرر ٨/ ٥٠٥، وروح المعاني ٣٠/ ٢٠٩، وتفسير القرآن العظيم – جزء عم – لابن عثيمين ص ٢٨٤.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/ ٥٥٩، وزاد نسبته في الدر المنثور ١٥/ ٥٨٢ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) انظر: الهداية ٣/ ٨٣٩٠.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/ ٥٥٩، وزاد نسبته في الدر المنثور ١٥/ ٥٨٢ للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٣، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥١، وتفسير السمرقندي ٣/ ٥٠٠، ومفردات ألفاظ القرآن ص ١٧٤، والكشف والبيان ١٠/ ٢٦٤، والوجيز ٢/ ١٢٢٣، وقاموس القرآن ص ٩٣، ومعالم التنزيل ٨/ ٥٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٥١٠، وزاد المسير ٨/ ٢٩٢، ونزهة الأعين النواظر ص ٢٢٦، والتفسير الكبير ١١/ ٢٥٤، ورموز الكنوز ٨/ ٧٠٢، وتفسير غريب القرآن للرازي ص ٣٨٥، والجامع لأحكام القرآن ٢٢/ ٤١٦، والتيسير العجيب ص ٢٢٩، والتيسير في التفسير ص ٣٣٦، والبحر المحيط ٨/ ٤٩٦، وغرر التبيان ص ٥٤٦، والترجمان ص ٤٣٥، وعمدة الحفاظ ١/ ٣٢٤، ونظم الدرر ٨/ ٥٠٥، وروح المعاني ٣٠/ ٢٠٩.

(٦) أخرجه ابن المنذر، كما في الدر المنثور ١٥/ ٥٨٢.

(٧) انظر: زاد المسير ٨/ ٢٩٢، ورموز الكنوز ٨/ ٧٠٢، وهو معزو لابن أبي حاتم، كما في إحدى نسخ الدر المنثور ١٥/ ٥٨٢ – ينظر: حاشية التحقيق (٤) طبعة التركي –، وانظر: الإكليل ٣/ ١٣٣١.

(٨) تقيءُ الأرض: أي: تخرج وتظهر ما في جوفها. انظر: إكمال المعلم ٣/ ٥٣٣، والمنهاج ٧/ ٩٩.

(٩) أفلاذ كبدها: أي: الكنوز والقطع المدفونة فيها، والأفْلاذُ: جمع فِلَذٍ، والفِلَذُ: جمع فِلْذَة، وهي القطعة المقطوعة طولاً. وسمي ما في الأرض: (كبداً) تشبيهاً بالكبد الذي في بطن البعير، وخص الكبد، لأنه من أطايب الجزور.
انظر: إكمال المعلم ٣/ ٥٣٣، والنهاية في غريب الحديث ٣/ ٤٧٠.

(١٠) الأُسطُوان: جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود، وشبهه بالأسطوان؛ لعظمه وكثرته.
انظر: إكمال المعلم ٣/ ٥٣٣، والمنهاج ٧/ ٩٩.

(١١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، ٢/ ٧٠١، رقم: (١٠١٣).

الثالث: أسرارها، حيث تشهد على العباد في موقف الحساب[1]، ولذلك قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤].

وضعف هذا القول بادٍ، فليس بمعضودٍ من أثر، وارتباطه بقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ أقرب، وإقحامه ضمن معاني التأويل أشبه.

وقد استبعد الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تأويل أثقالها: بأسرارها، حيث قال: "وهو مع مخالفته للمأثور، بعيد"[2].

وعليه فتحمل الآية على كلا القولين الأولين، فالأرض تقذف مكنوناتها المخبأة، وتخرج ما في جوفها المدفون، من الموتى، والكنوز، والمعادن، وجميع الذخائر.

وقد جمع بينهما ابن عباس (ت: ٦٨هـ) بقوله: "ما فيها من الكنوز والموتى"[3].

الموضع السادس والسابع والعشرون:

قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

هذا هو الموضع السابع، وكذا الثامن والأخير للفظ: ﴿مِثْقَالَ﴾ في التنزيل العزيز.

وقد وصف النبي ﷺ هاتين الآيتين بـ "الفاذّة الجامعة"[4].

و﴿مِثْقَالَ﴾ في الموضعين بمثل معنى الموضع الأول المتقدم.

---

(١) انظر: التفسير الكبير ١١/ ٢٥٤، وروح المعاني ٣٠/ ٢٠٨.

(٢) روح المعاني ٣٠/ ٢٠٩.

(٣) أخرجه ابن المنذر، كما في الدر المنثور ١٥/ ٥٨٢.

(٤) انظر: ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (الزلزلة)، ٤/ ١٨٩٧، رقم: (٤٦٧٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، ٢/ ٦٨٢، رقم: (٩٨٧)، كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ، وقد سماها: "فاذة"، لانفرادها في معناها، إذ هي قليلة المثل والنظير.

وسماها: "جامعة"، لشمولها وعمومها لجميع أنواع الطاعة والمعروف. انظر: إكمال المعلم ٣/ ٤٩٣، والمنهاج ٧/ ٧٠، وفتح الباري ٦/ ٧٧.

وقد وصف ابن مسعودٍ ﷺ هاتين الآيتين بأحكم آية في كتاب الله، ففي تفسير عبدالرزاق ٢/ ٣٨٨: "قال معمر: وبلغني أن عمر بن الخطاب...." وفيه انقطاع، وجهل بالمحذوف، والمنقطع ضعيف.

وورد عن ابن مسعودٍ ﷺ أنهما: "أخوف آية من القرآن" أخرجه المستغفري في فضائل القرآن ٢/ ٧٦١، رقم: (١١٥٢)، وإسناده ضعيف، كما قال محققه: د. أحمد السلوم.

الموضع الثامن والعشرون:

قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [القارعة: ٦].

هذا هو الموضع الرابع والأخير لمفردة: ﴿ثَقُلَتْ﴾ في محكم التنزيل.

و ﴿ثَقُلَتْ﴾ : فعل ماضٍ لفظاً، ومعناه الاستقبال[1].

ومعناها مطابق للموضع الثاني في أوائل البحث، بما يغني عن إعادة توجيهها، أو تكرير ترديدها.

* * *

(١) انظر: الطارقية ص ٣٣٦.

الخاتمـة:

الحمد لله على جزيل العطايا والهبات، وبفضله ونعمته تتم الصالحات، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، يسَّر إتمام هذا البحث، توفيقاً منه وامتناناً، وفيه خلصت إلى جملة من النتائج منظومة على النحو الآتي:

أولاً: تمت دراسة تصريفات مادة **(ثقل)** في ثمان وعشرين موضعاً من الكتاب الكريم، مستعرضاً فيها معاني الألفاظ، وتأويلات أهل التفسير، مردفاً ذلك بالأظهر من عيون تلك الأقاويل، ومدى مواءمتها لسياق التنزيل.

ثانياً: ظهر من خلال الدراسة سعة مدلول مادة **(ثقل)** في بعض تصاريفها، إذ ينضوي تحت اللفظ الواحد معانٍ متكاثرة، ما يشير إلى وجه من وجوه الإعجاز القرآني، وعظمة بيانه.

ثالثاً: بعض تصاريف الـ **(ثقل)** يأتي تفسيرها على لسان السلف من باب التمثيل، وذكر بعض أفراد العام، من غير إرادة التقييد والتخصيص.

رابعاً: أن من تصاريف الـ **(ثقل)** ما يضم تفسيرات صحيحة متنوعة، تحتملها الآية الكريمة، وإذا كان ذلك كذلك، فلا مانع من إرادة الكل حال التأويل.

خامساً: ورد تصريف كلمة: **(ثقل)** في اثنين وعشرين موضعاً من السور المكية، وهي كما يلي:

١ – **سورة الأعراف:** أربعة مواضع.

٢ – **سورة يونس:** موضع واحد.

٣ – **سورة الرعد:** موضع واحد.

٤ – **سورة النحل:** موضع واحد.

٥ – **سورة الأنبياء:** موضع واحد.

٦ – **سورة المؤمنون:** موضع واحد.

٧ – **سورة العنكبوت:** ثلاثة مواضع.

٨ – **سورة لقمان:** موضع واحد.

٩ – **سورة سبأ:** موضعان.

١٠ – **سورة فاطر:** موضع واحد.

١١ – سورة الطور: موضع واحد.

١٢ – سورة الرحمن: موضع واحد.

١٣ – سورة القلم: موضع واحد.

١٤ – سورة المزمل: موضع واحد.

١٥ – سورة الإنسان: موضع واحد.

١٦ – سورة القارعة: موضع واحد.

وفي ستة مواضع من السور المدنية، وهي كما يلي:

١ – سورة النساء: موضع واحد.

٢ – سورة التوبة: موضعان.

٣ – سورة الزلزلة: ثلاثة مواضع.

سادساً: أن علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، مطاويه قديمة، والملاحظ: أن المعتنين به من أعلامنا السابقين، لم يستوعبوا المعاني المتعلقة بألفاظ تصريفه، أو مواطنه من الآيات، بل اقتصروا على بعض معاني إطلاقه، أو قصروه على أحد أفراد عمومه، أو جزء معناه.

وفي ثنايا هذا البحث من الفوائد المبثوثة التي لا تخفى على المطالع، لاسيما وقد فعل البحث بكثيرٍ من نصوص أهل العلم وأقوالهم في تفسير الآيات المتعلقة بتصريف مادة (ثقل).

وقد بذلت قصارى جهدي في استيفاء الكلام، وإدراك المعاني، راجعاً حول هذه الآيات وتفسيراتها، وتحقيق أظهر الأقوال فيها إلى كتب المفسرين، وأرباب المعاني، وأهل الوجوه والنظائر، موثقاً وناقلاً عن أهل العلم كلامهم، ومستنيراً بآرائهم، وثاقب نظراتهم، حتى تستبين هذه المعاني، وتجمع شتات أفرادها في موطنٍ واحدٍ، تتم به الفوائد، وتستكمل به أوجه التأويل.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع:

- **الإتقان في علوم القرآن**. للسيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.
- **أحكام القرآن الكريم**. لابن العربي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
- **أحكام القرآن**. لأبي بكر الجصاص، تحقيق: عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- **أساس البلاغة**. للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **أسباب النزول الواردة في ثنيا جامع البيان للإمام ابن جرير الطبري – جمعاً وتخريجاً ودراسة –**. لحسن البلوط، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتواره في كلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى.
- **أسباب نزول القرآن**. للواحدي، تحقيق: د. ماهر الفحل، دار الميمان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- **الاستيعاب في بيان الأسباب**. لسليم الهلالي، د. محمد آل نصر، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية**. لسليمان الطوفي، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب، نشر: الفاروق الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- **الإصابة في تمييز الصحابة**. لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوّض، دار الكتب العليمة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. للشنقيطي، تخريج: محمد الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **إعراب القراءات السبع وعللها**. لابن خالويه، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- **إعراب القراءات الشواذ**. للعكبري، تحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

- **إعراب القرآن.** لأبي جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- **الأغاني.** لأبي الفرج الأصفهاني، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- **الإكليل في استنباط التنزيل.** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عامر العرابي، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **إكمال المعلم بفوائد مسلم.** للقاضي عياض، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **أمالي المرتضى.** للشريف المرتضى، تصحيح: محمد بدر الدين الحلبي، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.
- **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة في غرائب آي التنزيل.** لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د. محمد الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل.** للبيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **إيجاز البيان عن معاني القرآن.** لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: د.علي العبيد، مكتبة التوبة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه.** لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن.** لمحمود بن أبي الحسن النيسابوري، تحقيق: سعاد بابقي، نشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **البحر المحيط.** لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- **البداية والنهاية.** لابن كثير، تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر، الجيزة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **البرهان في علوم القرآن.** للزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ١٤٠٨هـ.

- **البسيط**. لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، من أول سورة النساء إلى الآية ٥٠ من سورة المائدة، دراسة وتحقيق: محمد بن حمد المحيميد، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤١٦هـ.
- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. للفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.
- **بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب**. للتركماني، تحقيق: د.علي حسين البواب، مكتبة المنار، الأردن، ١٤١٠هـ.
- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل واجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**. لابن عساكر، تحقيق: عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- **التبصرة في القراءات**. لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، منشور معهد المخطوطات العربية، الكويت، الطبعة الولى، ١٤٠٥هـ.
- **تبصير الرحمن وتيسير المنان**. لعلي بن أحمد المهايمي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- **التبيان في تفسير غريب القرآن**. لأحمد الهائم المصري، تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **التحرير والتنوير**. للطاهر بن عاشور، (بدون رقم الطبعة، ولا اسم الناشر).
- **تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب**. لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: سمير طه المجذوب، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**. لابن الجوزي، تحقيق: د. حسن البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **التذكرة في القراءات**. للطاهر بن غلبون، تحقيق: د. سعيد زعيمة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- **الترجمان عن غريب القرآن**. لعبدالباقي اليماني، تحقيق: موسى بن سليمان آل إبراهيم، مكتبة البيان، الطائف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **التسهيل لعلوم التنزيل**. لابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ.
- **تسير القرآن الكريم (جزء عم)**. لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

- **التعبير الفني في القرآن الكريم**. للدكتور بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السابعة، ٢٠٠٤م.
- **التعريفات**. للجرجاني، تحقيق: د. محمد المرعشلي، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **تفسر المراغي**. لأحمد المراغي، نشر مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ.
- **تفسير ابن عرفة**. لابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.
- **تفسير السمرقندي**. لأبي الليث السمرقندي، تحقيق: عادل عبدالموجود وشركائه، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- **التفسير الصحيح، موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**. للدكتور حكمت بشير ياسين، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ (تفسير المنار)**. لمحمد رشيد رضا، تخريج: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
- **تفسير القرآن العزيز**. لابن أبي زمنين، تحقيق: عبدالله عكاشة، ومحمد الكتر، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول ^ والصحابة والتابعين، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق**: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**. لابن كثير، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **تفسير القرآن العظيم**. للسخاوي، تحقيق: د. موسى مسعود، ود. أشرف القصاص، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٣٠هـ.
- **تفسير القرآن**. لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **تفسير القرآن**. لأبي محمد بن إبراهيم بن المنذر، تحقيق: د. سعد السعد، دار المآثر، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- **تفسير القرآن**. لعبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- **التفسير الكبير**. للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم**. لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **تفسير آيات أشكلت**. لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبدالعزيز الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **تفسير غريب القرآن العظيم**. لمحمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: د. حسين ألمالي، الطبعة الأولى. (بدون تاريخ).
- **تفسير غريب القرآن**. لابن الملقن، تحقيق: سمير طه مجذوب، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **تفسير غريب القرآن**. لابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- **تفسير كتاب الله العزيز**. لهود بن محكّم الهواري، تحقيق: بالحاج بن سعيد الشريف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- **تفسير مقاتل**. لمقاتل بن سليمان، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **تفسير يحيى بن سلاّم**. تحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **تقريب التهذيب**. لابن حجر، تحقيق: صغير أحمد الباكستاني، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **التلخيص في القراءات الثمان**. لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد موسى، نشر: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **التمهيد في علم التجويد**. لمحمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: د. علي البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **تهذيب اللغة**. للأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون، (بدون رقم الطبعة، ولا اسم الناشر).
- **التيسر العجيب في تفسير الغريب**. لابن المنير الإسكندراني، تحقيق: سليمان أوغلو، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.
- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به: سعد الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.

- **التيسير في القراءات السبع.** للداني، بعناية: أوتوبرتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن.** لأبي جعفر محمد الطبري، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان.** لمحمد القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **جمهرة الأمثال.** لأبي هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٨م.
- **جمهرة اللغة.** لابن دريد، تحقيق: د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن.** لعبدالرحمن الثعالبي، تحقيق: الغماري الإدريسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **حجة القراءات.** لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
- **الحجة في القراءات السبع.** لابن خالويه، تحقيق: د. عبدالعال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ.
- **الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد.** لأبي علي الفارسي، تعليق: كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم.** فريد السليم، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.** للسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور.** لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

- **درج الدرر في تفسير الآي والسور**. للجرجاني. تحقيق: مجموعة من الباحثين، مجلة الحكمة، بريطانيا، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**. للشنقيطي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- **ديوان زهير بن أبي سلمى**. اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس. دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ.
- **ديوان قيس بن الخَطيم**. تحقيق: د. ناصر الدين الأسد. دار صادر، بيروت.
- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**. لمكي بن أبي طالب. تحقيق: د. أحمد حسن فرحات. دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- **رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز**. للرسعني. تحقيق: د. عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. للألوسي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير**. لعبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: د. محمد عبدالرحمن عبدالله، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **السنن الكبرى**. للبيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- **سنن سعيد بن منصور**. لسعيد بن منصور، تحقيق: د. سعد آل حميد، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.
- **السيرة النبوية**. لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **شذا العرف في فن الصرف**. لأحمد الحملاوي، تعليق: د. محمد عبد بن عبدالمعطي، وخرج شواهده: أحمد المصري، دار الكيان.
- **شرح العقيدة الطحاوية**. لابن أبي العز الدمشقي، تحقيق: د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- **شرح العقيدة الواسطية**. لمحمد العثيمين، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **شرح الهداية**. للمهدوي. تحقيق: د. حازم حيدر، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

- **شعب الإيمان**. للبيهقي، تحقيق: د. عبدالعلي حامد، ومختار الندوي، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
- **شواذ القراءات**. لمحمد بن أبي نصر الكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **الصحاح**. للجوهري، تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح)**. ضبط وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، نشر: دار ابن كثير، واليمامة (دمشق، بيروت)، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.
- **صحيح مسلم (المسند الصحيح)**. لمسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
- **صفوة الراسخ في علم المنسوخ والناسخ**. لمحمد الموصلي المعروف بشعلة، تحقيق: د. محمد البراك، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **صيغ الجموع في القرآن الكريم**. للدكتورة وسمية المنصور، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- **الصيغ الفعلية في القرآن الكريم – أصواتاً وأبنية ودلالة**. لثريا عبدالله إدريس، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا باللغة العربية، ١٤١٠هـ.
- **العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير**. تعليق: خالد السبت، دار ابن عفان، القاهرة، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- **علل القراءات**. للأزهري، تحقيق: نوال الحلوة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**. للسمين الحلبي، تحقيق: د. محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- **عيون المسائل في القرآن العظيم**. لأبي معشر الطبري، تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **غرائب التفسير وعجائب التأويل**. للكرماني، تحقيق: د. شمران العجلي، نشر: دار القبلة بجدة، ومؤسسة علوم القرآن ببيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**. لنظام الدين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- **غراس الأساس.** لابن حجر، تحقيق: د. توفيق شاهين، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **الغريبين في القرآن والحديث.** لأحمد الهروي، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- **الفائق في غريب الحديث.** للزمخشري، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- **الفتاوى الكبرى.** لابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **فتح الباري بشرح صحيح البخاري.** لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ومحب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية.** للشوكاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية.** لسليمان بن عمر الشهير بالجمل، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
- **فضائل القرآن ومعالمه وآدابه.** لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٥هـ.
- **فضائل القرآن.** للمستغفري، تحقيق: د. أحمد السلوم، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **قاموس القرآن.** للحسين الدامغاني، تحقيق: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة، ١٩٨٥م.
- **القراءات الشاذة، ضوابطها والاحتجاج بها في الفقه والعربية.** للدكتور عبدالعلي المسئول، دار ابن عفان، القاهرة، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.
- **كتاب الألفاظ.** لابن السكيت، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- **كتاب الطارقية في إعراب ثلاثين سورة من المفصل بشرح معاني كل حرف وتلخيص فروعه.** لابن خالويه، تحقيق: د. محمد عمر، دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

- **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد.** للمنتجب الهمذاني، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.
- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.** للزمخشري، تحقيق: عادل عبدالموجود وشركائه، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- **كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات.** للباقولي، تحقيق: د. عبدالقادر السعدي، دار عمار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها.** لمكي بن أبي طالب، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤١٥هـ.
- **الكشف والبيان.** لأحمد الثعلبي. تحقيق: ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- **الكليات.** لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- **لباب التأويل في معاني التنزيل.** للخازن، ضبطه وصححه: عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **لسان العرب.** لابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- **المبسوط في القراءات العشر.** لأبي بكر الأصبهاني، تحقيق: سبيع حاكمي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- **مجاز القرآن.** لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: د. محمد فؤاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ.
- **مجاز القرآن، ويسمى الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز.** لابن عبدالسلام، تحقيق: د. محمد مصطفى بن الحاج، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
- **مجمع البيان في تفسير القرآن.** للطبرسي، تحقيق: هاشم المحلاتي، وفضل الله الطبطبائي، دار المعرفة، بيروت.
- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.** للهيثمي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.** جمع وترتيب: عبدالرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ.
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** لعبدالحق غالب بن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- **المحكم والمحيط الأعظم.** لابن سيده، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- **مختصر في شواذ القرآن من كتاب البدائع.** لابن خالويه، مكتبة المتنبي،القاهرة.
- **مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر.** لمحمد بن نصر المروزي، اختصرها أحمد بن علي القريزي، حديث أكادمي، باكستان، ١٤٠٨هـ.
- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل.** للنسفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- **المستدرك على الصحيحين.** للحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الولى، ١٤١١هـ.
- **المستنير في القراءات العشر.** لأحمد بن سوار البغدادي، تحقيق: د. عمار أمين الددو، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- **مسند أبي يعلى الموصلي.** لأحمد بن علي الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- **المصاحف.** لابن أبي داود، تحقيق: د. محب الدين عبدالسبحان واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
- **المصنف في الأحاديث والآثار.** لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- **معارج التفكر ودقائق التدبر.** لعبدالرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- **المعارف.** لابن قتيبة، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة.
- **معالم التنزيل.** لأبي محمد البغوي، تحقيق: محمد النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- **معاني القراءات.** للأزهري، تحقيق: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

- **معاني القرآن الكريم**. لأبي جعفر النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، نشر: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **معاني القرآن وإعرابه**. للزجاج، تحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- **معاني القرآن**. للأخفش، تحقيق: د. عبدالأمير الورد، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- **معاني القرآن**. للفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، وعلي النجار، وغيرهما، دار السرور، بيروت.
- **المعجم الكبير**. للطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية.
- **معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم**. للدكتور أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- **معرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز والعراق والشام المعروف بـ (السبعة)**. لابن مجاهد، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- **مفردات ألفاظ القرآن**. للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.
- **مقاييس اللغة**. لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. لابن حجر، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- **موسوعة فضائل سور وآيات القرآن، القسم الصحيح**. للطرهوني، مكتبة العلم، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- **الموضح في وجوه القراءات وعللها**. لابن أبي مريم، تحقيق: د. عمر الكبيسي، نشر: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- **الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن**. لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: محمد المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.

- **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**. لأبي بكر بن العربي. تحقيق: د.عبدالكبير المدغري. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية المغربية. ١٤٠٨هـ.
- **الناسخ والمنسوخ في القرآن**. لعبدالقاهر البغدادي. مكتبة نزار مصطفى الباز. مكة المكرمة. الرياض. الطبعة الأولى. ١٤١٨هـ.
- **الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك**. لأبي جعفر النحاس. تحقيق: د. سليمان اللاحم. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٢٠هـ.
- **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**. لعبدالرحمن بن الجوزي. تحقيق: محمد عبدالكريم الراضي. مؤسسة الرسالة. بيروت. الطبعة الثالثة. ١٤٠٧هـ.
- **نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن العزيز**. لأبي بكر السجستاني. تحقيق: د.يوسف المرعشلي. دار المعرفة. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٠هـ.
- **النسخ في القرآن الكريم** – دراسة تشريعية تاريخية نقدية –. للدكتور مصطفى زيد. دار الوفاء. المنصورة. الطبعة الثالثة. ١٤٠٨هـ.
- **النشر في القراءات العشر**. لابن الجزري. تصحيح: علي الضباع. دار الكتب العلمية. بيروت.
- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. لبرهان الدين البقاعي. علق عليه: عبدالرزاق غالب المهدي. دار الكتب العليمة. بيروت. الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ.
- **نفس الصباح في غريب القرآن وناسخه ومنسوخه**. للخزرجي. تحقيق: محمد عزالدين الإدريسي. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية. ١٤١٤هـ.
- **النكت والعيون**. لعلي الماوردي. تعليق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت.
- **النهاية في غريب الحديث والأثر**. لابن الأثير. تحقيق: محمود الطناحي. وظاهر الزاوي. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- **نواسخ القرآن**. لابن الجوزي. تحقيق: محمد أشرف الملباري. المجلس العلمي لإحياء التراث الإسلامي بالمدينة النبوية. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ.
- **الهداية إلى بلوغ النهاية**. لمكي بن أبي طالب. كلية الدراسات العليا والبحث العلمي. جامعة الشارقة. الطبعة الأولى. ١٤٢٩هـ.

- **وجوه القرآن الكريم.** لإسماعيل الحيري النيسابوري، تحقيق: فاطمة الخيمي، دار الساق، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.** لعلي الواحدي، تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **الوسيط في تفسير القرآن المجيد.** لعلي الواحدي، تحقيق: عادل عبدالموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن.** لغلام ثعلب، تحقيق: محمد بن يعقوب التركمستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

* * *